المجموعة المفيدة

مختارات من رسائل علمائنا

ⓗ عبد العزيز عبد الرحمن القباع ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القباع ، عبدالرحمن عبدالعزيز

المجموعة المفيدة من رسائل علماء العقيدة. / عبدالرحمن عبدالعزيز القباع - الرياض ، ١٤٢٦هـ

٢١٩ ص ؛ ١٧ سم

ردمك: ٢-٨٨٣-٤٩-٠-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٦/٧١٠٢

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٧١٠٢

ردمك: ٢-٨٨٣-٤٩-٠-٩٩٦٠

ص. ب ٣٢١٠١ - الرياض ١١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .. أما بعد :

فقد اطلعت على كتاب المجموعة المفيدة من رسائل علماء العقيدة فألفيته مشتملاً على عدة رسائل لأهل العلم من أهل البصيرة والفقه في الدين .

لذا فإني أحث إخواني المسلمين على قراءته وتدبّره وتأمّل ما فيه ؛ لكونه مشتملاً على بيان العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومعلوم أن الأعمال إنما تُبنى على سلامة المعتقد ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان أن النبي ﷺ قال : « من يُرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين » .

رزقنا الله الفقه في دينه ، والبصيرة في شريعته ، وثبّتنا على دينه القويم .. إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة عامة للمسلمين

لسماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة عامة للمسلمين

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى من يراه من المسلمين ، وفقهم الله لما فيه رضاه وزادهم من العلم والإيمان ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد بلغني أن كثيراً من الناس يقع في أخطاء كثيرة في العقيدة وفي أشياء يظنونها سنة وهي بدعة ، ومن ذلك إنكار علو الله واستوائه على عرشه ، ومعلوم أن الله سبحانه بيّن ذلك في كتابه الكريم حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] الآية ، ذكر ذلك سبحانه في سبع آيات من كتابه العظيم، منها هذه الآية . ولما سُئل مالكٌ رحمه الله عن ذلك قال : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب)، وهكذا قال غيره من أئمة السلف، ومعنى الاستواء معلوم : يعني من جهة اللغة العربية وهو العلو والارتفاع ، وقال سبحانه : ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر : ١٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة : ٢٥٥]، وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ

ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] في آيات كثيرات كلها تدل على علوه وفوقيته وأنه سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق ، وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، فالواجب اعتقاد ذلك والتواصي به وتحذير الناس من خلافه .

ومن ذلك اتخاذ المساجد على القبور والصلاة عندها وجعل القباب عليها ، وهذا كله من وسائل الشرك وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى على ذلك وحذر منه ، فقال ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق على صحته، وقال ﷺ : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جندب . وخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك ، والتواصي بتركه لتحذير النبي ﷺ من ذلك ، ولأن ذلك من وسائل الشرك بأصحاب القبور ودعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم النصر إلى غير ذلك من أنواع الشرك .

ومعلوم أن الشرك هو أعظم الذنوب وأكبرها وأخطرها ، فالواجب الحذر منه ومن وسائله وذرائعه ، وقد حذر الله عباده من ذلك في آيات كثيرات ، منها قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء :٦٥]، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر : ٥٦]، ومنها قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :٨٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومن أنواع الشرك الأكبر دعاء الأموات والغائبين والجن والأصنام والأشجار والنجوم والاستغاثة بهم وسؤالهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء ، وهذا هو دين المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم كما قال الله سبحانه عنهم : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] الآية ، وقال سبحانه : ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢-٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على أن المشركين الأولين

يعلمون أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار وإنما عبدوا آلهتهم ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم لديه زلفى ، فكفرهم سبحانه بذلك ، وحكم بكفرهم وشركهم ، وأمر نبيه بقتالهم حتى تكون العبادة لله وحده كما قال سبحانه : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة :١٩٣] الآية ، وقد كتب العلماء في ذلك كتباً كثيرة وأوضحوا فيها حقيقة الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وبينوا فيها دين الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم المخالفة لشرع الله كعبد الله بن الإمام أحمد ، والإمام الكبير محمد ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، ومحمد بن وضاح وغيرهم من الأئمة ، ومن أحسن ما كتب في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة ومن أخصرها كتابه القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة ، ومن ذلك ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله في كتابه : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .

ومن الأعمال المنكرة الشركية الحلف بغير الله كالحلف بالنبي ﷺ ، أو بغيره من الناس ، والحلف بالأمانة ، وكل ذلك من المنكرات ومن المحرمات الشركية لقول النبي ﷺ : « من حلف بشيء دون الله فقد أشرك » خرجه الإمام أحمد رحمه الله عن عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح ، وأخرج أبوداود والترمذي بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ، وثبت عنه ﷺ أنه قال : «من حلف بالأمانة فليس منا» ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، والحلف بغير الله من الشرك الأصغر عند أهل العلم ، فالواجب الحذر منه وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر ، وهكذا قول ما شاء الله وشاء فلان ، ولولا الله وفلان ، وهذا من الله ومن فلان ، والواجب أن يقال : ما شاء الله ثم شاء فلان ، أو : لولا الله ثم فلان ، أو هذا من الله ثم من فلان لما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » .

ومن المحرمات الشركية التي قد وقع فيها كثير من الناس تعليق التمائم والحروز من العظام أو الودع أو غير ذلك وتسمى التمائم، وقد قال ﷺ : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، ومن تعلق تميمة فقد أشرك » ، وقال ﷺ : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » ، وهذه الأحاديث تعم الحروز والتمائم من القرآن وغيره ؛ لأن الرسول ﷺ لم يستثنِ شيئاً ، ولأن تعليق التمائم من القرآن وسيلة إلى تعليق غيرها

فوجب منع الجميع سداً لذرائع الشرك ، وتحقيقاً للتوحيد ، وعملاً بعموم الأحاديث ، إلا الرقى فإن الرسول ﷺ استثنى منها ما ليس فيه شرك فقال ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً » ، وقد رقى ﷺ بعض أصحابه ، فالرقى لا بأس بها فهي من الأسباب الشرعية إذا كانت من القرآن الكريم ، أو مما صحت به السنة ، أو من الكلمات الواضحة التي ليس بها شرك ولا لفظ منكر .

ومن المنكرات المبتدعة : الاحتفال بالموالد سواء كان ذلك بمولد النبي ﷺ ، أو غيره ؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا بقية الصحابة رضي الله عنهم ، ولا أتباعهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة ، وإنما حدث في القرن الرابع وما بعده بسبب الفاطميين ، وغيرهم من الشيعة ، ثم فعله بعض أهل السنة جهلاً بالأحكام الشرعية وتقليداً لمن فعله من أهل البدع ، فالواجب الحذر من ذلك لكونه من البدع المنكرة الداخلة في قوله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، وقوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها ، وقوله ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»

خرجه مسلم في صحيحه ، وقوله ﷺ في خطبه : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » خرجه مسلم في صحيحه عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولأن الاحتفال بالموالد من وسائل الغلو والشرك ، فالواجب الحذر منها ، والتحذير منها ، والتواصي بالاستقامة على السنة ، وترك ما خالفها .

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لما فيه رضاه ، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه ، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن ، ونزغات الشيطان ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

أصول الدين الإسلامي

تأليف

محمد بن سليمان التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

س : ما هي المسائل الأربع التي يجب على كل إنسان أن يتعلمها ؟

ج : الأولى : العلم ، وهو معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية : العمل بهذا العلم .

الثالث : الدعوة إليه .

الرابع : الصبر على الأذى فيه .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

س : ما الذي قاله الشافعي في هذه السورة ؟

ج : قال : لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم .

س : هل القول والعمل قبل العلم أو العلم قبلهما ؟

ج : العلم قبلهما ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

ٱللَّهُ﴾ [محمد : ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل. قاله البخاري رحمه الله.

س : ما المسائل الثلاث التي يجب تعلمها والعمل بها ؟

ج : الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ؟ .

س : ما الدليل على على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل ١٥:-١٦] .

الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد ، لا ملَك مقرب ، ولا نبي مرسل .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن :١٨] .

الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحَّد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة : ٢٢] الآية .

س : ما الحنيفية ملة إبراهيم ؟

ج : أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

س : ما معنى يعبدون ؟

ج : يوحدوني وآمرهم وأنهاهم .

س : ما هو أعظم شيء أمر الله به ؟

ج : التوحيد .

س : ما هو التوحيد ؟

ج : هو إفراد الله بالعبادة وإثبات اتصافه بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، وتنزيهه عن النقائص والحدوث ومشابهة

المخلوقات .

س : ما هو أعظم شيء نهى الله عنه ؟

ج : الشرك .

س : ما هو الشرك ؟

ج : دعوة غير الله معه ، وأن تجعل لله نداً في العبادة .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦] ، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] .

س : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

ج : معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه محمداً ﷺ .

س : من ربك ؟

ج : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته ، وهو معبودي ليس لي معبود سواه .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] وكل من سوى الله عَالَم ، وأنا واحد من ذلك العالَم .

س : بم عرفت ربك ؟

ج : عرفته بآياته ومخلوقاته ، الليل والنهار والشمس والقمر ، والسماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

س : ما هو الرب ؟

ج : الرب هو السيد المالك الموجد من العدم إلى الوجود ، وهو المستحق للعبادة .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١-٢٢] فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

س : ما هي العبادة ؟

ج : العبادة هي غاية الخضوع والتذلل ، وغاية الحب والتعلق لمن فعل له ذلك ، وبعبارة أخرى هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة .

س : كم أنواع العبادة التي أمر الله بها ؟

ج : كثيرة ، منها : الإسلام والإيمان والإحسان والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادات التي أمر الله بها ، كلها مخصوصة بالله تعالى.

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

س : ما حكم من صرف منها شيئاً لغير الله ؟

ج : من صرف منها شيئاً لغير الله تعالى فهو مشرك كافر ، وإن صلى وصام وحجَّ وزعم أنه مسلم .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا

حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٧].

س : ما الدليل على أن الدعاء عبادة ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «الدعاء مخ العبادة» ، وفي رواية : «الدعاء هو العبادة » .

س : ما الدليل على أن الخوف عبادة ؟

ج : قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

س : ما الدليل على أن الرجاء عبادة ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

س : ما الدليل على أن التوكل عبادة ؟

ج : قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق : ٣] .

س : ما الدليل على أن الرغبة والرهبة والخشوع عبادات ؟

ج : قولـه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء :٩٠] .

س : ما الدليل على أن الخشية عبادة ؟

ج : قولـه تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة : ١٥٠] .

س : ما الدليل على أن الإنابة عبادة ؟

ج : قولـه تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ ﴾ الزمـر : ٥٤] الآية .

س : ما الدليل على أن الاستعانة عبادة ؟

ج : قولـه تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٤] ، وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله » .

س : ما الدليل على أن الاستعاذة عبادة ؟

ج : قولـه تعـالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ [الناس : ١-٢] .

س : ما الدليل على أن الاستغاثة عبادة ؟

ج : قولـه تعـالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال : ٩] .

س : ما الدليل على أن الذبح عبادة ؟

ج : قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣]، ومن السنة قوله عليه الصلاة وا لسلام : «لعن الله من ذبح لغير الله» .

س : ما الدليل على أن النذر عبادة ؟

ج: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

س : ما الأصل الثاني ؟

ج : معرفة دين الإسلام بالأدلة .

س : ما هو دين الإسلام ؟

ج : هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

س : كم مراتب دين الإسلام ؟

ج : مراتبه ثلاثة : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان . وكل مرتبة لها أركان .

س : كم أركان الإسلام ؟

ج : خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

س : ما دليل شهادة أن لا إله إلا الله ؟

ج : قولــــه تعــالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :١٨].

س : ما معنى لا إله إلا الله ؟

ج : معناه : لا معبود بحق إلا الله وحده .

س : ما المقصود بـ « لا إله » ؟

ج : المقصود نفي جميع ما يُعبد من دون الله .

س : ما المقصود بـ « إلا الله » ؟

ج : المقصود إثبات العبادة لله وحده لا شريك لـه في عبادتـه ، كما أنه ليس له شريك في ملكه .

س : ما تفسيرها الذي يوضحها ؟

ج : قولــه تعــالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨] ، وقولــه تعــالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

س : ما دليل شهادة أن محمداً رسول الله ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

س : ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله ؟

ج : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

س : ما دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ؟

ج : قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة : ٥] .

س : ما دليل الصيام ؟

ج : قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

س : ما دليل الحج ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

س : ما المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام ؟

ج : هي الإيمان .

س : كم شعب الإيمان ؟

ج : هي بعض وسبعون شعبة ، أعلاها قول (لا إله إلا الله) وأدناها (إماطة الأذى عن الطريق) والحياء شعبة من الإيمان .

س : كم أركان الإيمان ؟

ج : ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ ۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية .

س : ما دليل القدر ؟

ج : قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر :٤٩] .

س : ما المرتبة الثالثة من مراتب الإسلام ؟

ج : هي الإحسان وله ركن واحد .

س : ما هو الإحسان ؟

ج : هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٧-٢٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس :٦١] .

س : ما الدليل من السنة على مراتب الدين الثلاثة ؟

ج : حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن

استطعت إليه سبيلاً » قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره » قال : أخبرني عن الإحسان . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ؟ » قال : أخبرني عن أماراتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان » قال : فمضى ، فلبثنا قليلاً ، فقال : «يا عمر ، أتدري من السائل؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم » رواه مسلم في صحيحه

س : ما هو الأصل الثالث ؟

ج : معرفة نبينا محمد ﷺ وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

س : كم عمر النبي ﷺ ؟

ج : ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً ، نُبِئ بـ (إقرأ) وأرسل بـ(المدثر) ، وبلده مكة.

س : بأي شيء بعثه الله ؟

ج : بعثه الله بالنذارة عن الشرك وبالدعوة إلى التوحيد .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١-٧] .

س : ما معنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؟

ج : معناه أنذر عن الشرك وادعُ إلى التوحيد .

س : ما معنى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ؟

ج : معناه : عظِّم ربك بالتوحيد ، وطهر أعمالك عن الشرك .

س : ما معنى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ؟

ج : معناه : اهجر الأصنام ، وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها .

س : كم أخذ على هذا ﷺ ؟

ج : أخذ على هذا عشر سنين وبعدها عُرج به إلى السماء وفرضت عليه ﷺ الصلوات الخمس ليلتئذ ، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة المنورة .

س : ما هي الهجرة ؟

ج : هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، ومن بلد البدعة إلى بلد السنة .

س : ما حكم الهجرة ؟

ج : حكمها أنها فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، ومن بلد البدعة التي يدعو أهلها إليها إلى بلد السنة ، وأنها باقية إلى أن تطلع الشمس من مغربها .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء :٩٧-٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] .

س : ما سبب نزول هاتين الآيتين ؟

ج : سبب نزول الآية الأولى أن قوماً من أهل مكة أسلموا وتخلفوا عن الهجرة مع رسول الله ﷺ وافتتن بعضهم وشهد مع

المشركين حرب يوم بدر، فأبى الله قبول عذرهم فجازاهم جهنم، وسبب نزول الآية الثانية أن قوماً من المسلمين كانوا بمكة لم يهاجروا فناداهم الله باسم الإيمان وحضهم على الهجرة .

س : ما الدليل على بقاء الهجرة في الحديث ؟

ج : قوله ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

س : ما الذي أمر ﷺ به بعد أن استقر بالمدينة ؟

ج : أمر ببقية شرائع الإسلام من الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد وغير ذلك من شرائع الإسلام .

س : كم أخذ على هذا ﷺ ؟

ج : أخذ على هذا عشر سنين ، وتوفي صلاة الله وسلامه عليه ودِينُه باقٍ ، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه .

س : ما الخير الذي دل الأمة عليه ، وما الشر الذي حذرها منه؟

ج : الخير الذي دل الأمة عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه .

س : هل بعثه الله لقبيلة مخصوصة أم لجميع الناس ؟

ج : بعثه الله إلى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الثقلين الإنس والجن .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف : ٢٩] الآية .

س : هل أكمل الله به الدين أو أكمل بعده ؟

ج : نعم كمَّل الله به الدين حتى لا يحتاج لشيء من الدين بعده.

س : ما الدليل على ذلك؟

ج : قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] .

س : ما الدليل على موته ؟

ج : قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ الزمر :٣٠-٣١] .

س : هل يبعث الناس بعد موتهم أم لا ؟

ج : نعم يُبعثون لقوله تعالى : ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه :٥٥] ، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح : ١٧-١٨] .

س : هل الناس محاسبون ومجزيون بأعمالهم بعد البعث أم لا ؟

ج : نعم ، محاسبون ومجزيون بأعمالهم بدليل قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم :٣١] .

س : ما حكم من كذب البعث ؟

ج : حكمه أنه كافر بدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن :٧].

س : بأي شيء أرسل الله الرسل ؟

ج : أرسلهم الله بالبشارة لمن وحد الله بالجنة وبالنذارة لمن أشرك بالله بعذاب النار .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] .

س : من أول الرسل ؟

ج : نوح عليه السلام .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء : ١٦٣] .

س : هل بقيت أمة لم يبعث الله لها رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ؟

ج : لم تبق أمة إلا بعث إليها رسولاً بدليل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل :٣٦] .

س : ما هو الطاغوت ؟

ج : هو ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع .

س : كم عدد الطواغيت ؟

ج : كثيرون ، ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عُبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله [وقد أمرنا الله أن

نكفر بها ونجتنب عنها ونكون من المسلمين][1] .

س : ما الدليل على ذلك ؟

ج : قولـــه تعــالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقـرة : ٢٥٦] ، وقولـــه تعــالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقولـــه تعــالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤][2] .

تمت

---

(١) من زيادة الناشر السابق محمد عبدالرؤوف المليباري .

(٢) من زيادة الناشر السابق .

القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت ، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦] ، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاةً إلا مع الطهارة ، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة[1] كما قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [التوبة :١٧] ، فإذا عرفت أن

---

(١) وكالخلّ إذا خالط العسل أو السم إذا دخل في الجسم ، نعوذ بالله من ذلك . عقله الشيخ محمد منير الدمشقي .

الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلّصك وينجيك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء :١١٦]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

القاعدة الأولى :

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر وإن ذلك لم يدخلهم في الإسلام [أي وأن مجرد الإقرار لم يدخلهم في الإسلام حتى يضيفوا إلى ذلك إفراد الله بالعبادة](١) ، والدليل قوله تعالى : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

القاعدة الثانية :

أنهم ـ أي المشركين ـ يقولون : ما دعوناهم [أي الأولياء](٢) وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة ، فدليل القربة [أي

---

(١) من زيادة الناشر السابق .

(٢) من زيادة الناشر السابق .

فدليل أن دعاء الأولياء لقصد أن يقربوهم إلى الله شرك][1] قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر :٣] ، ودليل الشفاعة (أي ودليل أن دعاء الأولياء والتوسل بهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات واتخاذهم شفعاء عند الله شرك][2] قوله تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس :١٨].

والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة ، فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة :٢٥٤][3] .

---

(١) من زيادة الناشر السابق .

(٢) من زيادة الناشر السابق .

(٣) قال الحافظ عماد الدين المشهور بابن كثير في تفسير هذه الآية : يأمر الله تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم الله في سبيله سبيل الخير ليدخروا

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله ، والشافع مكرم بالشفاعة ، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن [وهذه الشفاعة لا تطلب إلا من الله وحده؛ لأنها ملك لله وحده، فمن طلبها من غير الله فقد أشرك وأتى بما يناقض طلبه ، ويمتنع عليه حصوله لأن الله لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن بالشفاعة إلا للموحدين](١) كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥](٢)، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء

ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا من قبل أن يأتي يوم ـ يعني يوم القيامة ـ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، أي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال لو بذله ولو جاء بمثل الأرض ذهباً ، ولا تنفعه خلة أحد ـ يعني صداقته ـ بل ولا نسابته كما قال تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون﴾ ، ولا شفاعة أي ولاتنفع شفاعة الشافعين ، وقوله تعالى : ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ مبتدأ محصور في خبر ، أي ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافراً، وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال : ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ولم يقل : والظالمون هم الكافرون . والله أعلم . علقه الشيخ محمد منير الدمشقي.

(١) من زيادة الناشر السابق .

(٢) أي لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عند الله إلا بإذنه له في

:٢٨] ، و ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر :٤٤] .

القاعدة الثالثة :

أن النبي ﷺ ظهر في أناس متفرقين في عبادتهم ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال :٣٩] ، ودليل الشمس والقمر [أي دليل أن عبادة الشمس والقمر وسائر الكواكب واعتقاد أن لها تأثيراً وتصرفات في حوادث العالم السفلي شرك][(١)] قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت :٣٧] ، ودليل الملائكة [أي

الشفاعة لعظمته تعالى وجبروت كبريائه كما في حديث الشفاعة : «آتي تحت العرش فأخِرّ ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة » . والله أعلم . علقه الشيخ محمد منير الدمشقي .

(١) من زيادة الناشر السابق .

ودليل أن عبادة الملائكة شرك](١) قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران : ٨٠](٢) ، ودليل الأنبياء [أي ودليل أن عبادة الأنبياء ودعاءهم شرك](٣) قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ، ودليل الصالحين [أي ودليل عبادة الأولياء والصالحين بدعائهم والاستغاثة بهم والتوسل بهم شرك بالله تعالى، سبحان الله وتعالى

---

(١) زيادة من الناشر السابق .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله ، لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عبادة غير الله ، فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقوله ﴿أرباباً﴾ أي آلهة من دون الله ، والله أعلم .

(٣) من زيادة الناشر السابق .

عما يشركون][1] قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء :٥٧][2]، ودليل الأشجار والأحجار [أي ودليل أن التبرك بالأشجار والأحجار وبقبور الأولياء والنذر والذبح لها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات والتبرك بالعكوف والتعبد عندها والتبرك بأستارها وأترابها شرك][3] قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم :١٩-٢٠][4] .

---

(١) زيادة من الناشر السابق .

(٢) روى البخاري بسنده عن عبدالله في قوله تعالى : ﴿أولئك الذين ..﴾ الآية ، قال ناس من الجن : كانوا يُعبدون فأسلموا . وعنه أيضاً قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيّون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية . والله أعلم . علقه الشيخ محمد منير الدمشقي .

(٣) من زيادة الناشر السابق .

(٤) يقول الله تعالى ذلك مقرعاً المشركين في عبادتهم الأصنام والأوثان والأنداد واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام ، وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وخدمة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : « خرجنا مع

قريش ، والعزى كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها ، ولذلك قال أبوسفيان يوم وقعة أحُد: لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » . ومناة كانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتهم يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، فبعث النبي ﷺ أناساً من الصحابة رضي الله عنهم إلى هدمها ، فأرسل خالد بن الوليد سيف الله على المشركين إلى العزى فهدمها وجعل يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانكِ

وأرسل المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب إلى اللاّت فهدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف ، وبعث رسول الله ﷺ إلى مناة أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ، ويقال هدمها علي بن أبي طالب .
فالنبي ﷺ جاء بالدين الحق ، وإخلاص العبودية ، وإفراد المعبود بالحق، وإبطال العادات القبيحة ، وكل ما يشوبه شيء من الشرك، وجرى على ذلك أصحابه العظام وتابعوه الكرام من بعده إلى أن اختلط الحابل بالنابل واستحوذ الشيطان وغواة الباطل على عقول كثير من المسلمين ، فجددوا عبادة الأوثان لا سيما في عصرنا الحاضر عصر الجهل المركب والصور المزخرفة ، فلقد طم البلاء وعم ، والعلماء ساكتون إلا من شاء الله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . علقه الشيخ محمد منير الدمشقي .

النبي ﷺ إلى حُنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ، لتركبن سنن من كان قبلكم ، أي النصارى واليهود »(١) . رواه الترمذي .

القاعدة الرابعة :

أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ؛ لأن الأولين

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي وصححه ، وقوله « حدثاء عهد بكفر » أي قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في دين الإسلام ، فلم يتمكن الإسلام من قلوبهم ، وقوله « ينوطون » أي يعلقون بها أسلحتهم تبركاً بها وتعظيماً لها ، وقوله « ذات أنواط » هوجمع نوط مصدر سمي به المنوط ، أي المعلق ، ظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به إليه سبحانه وإلا فهم أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ ، وباقي الحديث مع شرحه لنا مذكور في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، فارجع إليه فإنك تجد فيه ما يسرك . والله أعلم . وعلقه الشيخ محمد منير الدمشقي .

يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة ، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت :٦٥] .

[لذا نرى كثيراً ممن يعبدون الأولياء وأضرحة المشايخ والسادة يخلصون في الشرك بدعائهم والاستغاثة بهم في حال الشدة والرخاء ، بل ربما أن بعضهم ليزداد في الشرك كلما اشتد به البلاء، بخلاف المشركين الأولين فإنهم كانوا يشركون بالله في حال الرخاء والسرور ، وفي حال الشدة كانوا يخلصون الدعاء والتضرع إلى الله كلما نطق بذلك القرآن الكريم ، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة دائم يدعون الأولياء ويستغيثون بهم في كل وقت، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ويقول عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الزمر :٣٨] ، ويقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، ويقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ

﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر : ١٣-١٤]، ويقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف : ٥-٦] .

والله الموفق وهو الهادي إلى الصراط المستقيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله] [١] .

* * *

(١) من زيادة الناشر السابق .

عقيدة السلف الصالح

للشيخ المحدث

محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد .. فإني أعتقد أن الله إله واحد لا إله إلا هو ، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لا يستحق شيئاً من أنواع العبادة غيره ، وأن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر ، والعبادة هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، كأركان الإسلام الخمسة ، والدعاء والرجاء ، والخوف والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والاستعانة والاستغاثة ، والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وأنه سبحانه موصوف ومسمى بجميع ما وصف به نفسه وسماه به ، وما وصفه وسماه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا وصفاً حقيقياً لا مجازاً ، ومنه استواؤه على عرشه أي علوه عليه بذاته بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل كما قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ، وأنه متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد كما نقل عن السلف أنهم يقولون : لم يزل

متكلماً ويتكلم إذا شاء ، ومن كلامه القرآن ، وهو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للتعبد به والإعجاز ، الذي سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى بلا واسطة ، وأنزل على محمد ﷺ بحروفه ومعانيه كما سمعه من ربه عز وجل ، وليس هو بعبارة من جبريل ولا محمد ﷺ وكيفما تصرف فهو كلام الله ، وأنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما نادى موسى لما أتى الشجرة : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [طه : ١٢] ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : «أنا الملك ، أنا الديّان » ، وأن مثل هذا مما يخاطب به رسله وملائكته ومن شاء من عباده أو ينزل عليهم من كتبه من آحاد كلامه غير الأزلي ، ولكنه غير مخلوق لأنه من صفاته ، وصفاته كلها غير مخلوقة ، وأنه سبحانه يحب ويرضى ويكره وينزل ، ويحيي ويميت ، ويسخط ، ويفرح بتوبة عبده أشد فرح ، وأنه سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحيحة ، وكل هذا وما أشبهه صفات له حقيقة لا مجازية ، كما أثبتها الكتاب والسنة . كما قال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص :١-٤] .

فهذا ما نعتقده وندين الله في أسمائه وصفاته بلا تكييف ، ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى جميع الثقلين : الجن والإنس، وأنه بلغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، ولم يزل مجاهداً في سبيل الله حتى كمل الله به الدين كما قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة :٣] ، ثم استأثر به ربه وألحقه بالرفيق الأعلى ، وفارق الدنيا وأهلها، وأنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به ، وحتى يكون هو أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين . وأن معنى محبته ﷺ طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا إطراؤه والغلو فيه ورفعه عن منزلته التي أنزله الله عز وجل بدعائه والاستغاثة به فقد قال ﷺ : « الدعاء هو العبادة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله عز وجل » وأن الاستغاثة به ـ فضلاً عن غيره من الأولياء وأصحاب المشاهد ـ شرك بالله تعالى ، والتعلق بغير الله تعالى في جلب خير أو دفع شر ، استقلالاً أو توسيطاً : شرك [أي وأن تعلق القلب

بالأولياء أو الجن بالتوكل عليهم والالتجاء إليهم ومراقبة روحانياتهم بأنواع من النسك في قضاء الحاجات وتفريج الكربات شرك بالله تعالى سواء كان ذلك باسم الطلسمات أو التوسلات ، كل ذلك شرك وضلال ، ما أنزل الله الكتاب ولا أرسل الرسول إلا لإبطالها وإبادة جذورها وتطهير القلوب منها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله][(١)] .

ونعتقد أن الملائكة وكتب الله حق ، والنبيين حق ، والبعث بعد الموت حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ونؤمن أن الميزان حق ، وأن حوض نبينا محمد ﷺ حق ، لا يظمأ مَنْ شرب منه ، ويُذاد عنه من بدل وغيّر ، ونؤمن بالقدر خيره وشره ، ونعتقد أن شفاعة نبينا محمد ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين حق لكن بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له ، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء :٢٨] ، وأن نبينا ﷺ هو أول شافع وأول مشفع ، وأنه قد خُص بشفاعات لا يشاركه فيها غيره: أولها الشفاعة في فصل القضاء ، وهو المقام

---

(١) من زيادة الناشر السابق .

المحمود الذي يغبطه به الأنبياء والمرسلون .

ومنها الشفاعة في إخراج من أدخل النار(١) .

ومنها الشفاعة في تسريحهم إلى الجنة بعدما نُقوا وهُذبوا .

ونعتقد أن خير القرون القرن الذين اجتمعوا مع رسول الله ﷺ مؤمنين به وهم أصحابه ، ثم الذين اتبعوهم بإحسان كما قال ﷺ: « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» .

ونعتقد أن أحسن الكلام كلام الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

هذا ، ولولا خشية الإطالة لأتينا بدليل كل مسألة من هذه

---

(١) الصواب أن الشفاعة في إخراج من دخل النار بذنوبه ليست خاصة بالنبي ﷺ بل هي من الشفاعة المشتركة كما يعلم ذلك من الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ وإنما الذي يخصه عليه الصلاة والسلام بعد الشفاعة العظمى الشفاعة في دخول أهل الجنة كما صرح به الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ، وهكذا الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، والله الموفق .
قاله عبدالعزيز بن عبدالله بن باز . الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . عفا الله عنه ، ووفقه لكل خير.

المسائل من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وإجماع السلف الصالح .

ونسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم في جميع الأقوال والأعمال ، وأن يعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويثبتنا ويتوفانا على الإسلام .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

هذه العقيدة السلفية التي كتبها الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري بالمدينة المنورة سنة ١٣٥٨هـ المتوفى بها في ٧/ ٦/ ١٣٦٣هـ نصيحة وذكرى لنفسه ولإخوانه المسلمين ، رحمه الله تعالى .

* * *

الاحتجاج بالقضاء والقدر

للعلامة الشيخ الدكتور

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

السؤال عن القضاء والقدر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد :

عندما يؤمر إنسان بمعروف ، ويُنهى عن منكر في أي أمر من أمور الدين ، كبيراً كان أو صغيراً ، فإنه يردّ ذلك إلى القضاء والقدر ، ويقول : قدر الله علي أن أفعل هذا الشر ، وهذه المعصية ، فإذا قلت له : ألا تستطيع عمل الخير وترك الشر ؟ قال: بلى ، ولكن إذا قدر الله عليَّ أن أكون من أهل النار فيسبق عليّ الكتاب لا محالة .

ثم يستدل بقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر :٨] ، ويستدل أيضاً بقوله ﷺ : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » رواه البخاري ومسلم.

نرجو توجيه ردٍّ واضح على هذه المسألة المحيرة لكثير من الناس، خاصة أنني لم أجد كتاباً مبسّطاً إلى عامة الناس يوضح هذه المسألة ، ويرد على الشبهات التي تعترضهم ، وجزاكم الله خيراً .

الجواب في مسألة القضاء والقدر

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن هؤلاء الذين يحتجون بهذه الحجج ، لا شك أنهم متناقضون ، فهم لا يعملون بها في كل حال ! فلا يعملون بالقضاء والقدر ، ويسلمون له في كل أحوالهم ! فلأجل ذلك يقال : إنهم متناقضون !

ونحن نقول للجواب عن هذا السؤال :

إن هذا السؤال قديم ، يحتج به الفسقة دائماً ، ويرددونه في مجتمعاتهم ، ويرددونه إذا نُصحوا ، فهو ليس بجديد ! .

فقد ذكروا أن ذِمّياً أو ملحداً دخل على شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقدّم له أبياتاً يحتج فيها بالقدر ! فقال :

أيا علماء الدين ذمي دينكم
تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم
ولم يرضه مني فما وجه حيلتي ؟

دعـــــاني وســــــد البـــــاب دوني
فهل إلى دخولي سبيل بينـوا لي قـضيّتي
قــضى بــضلالي ثــم قــال ارض بالقــضا
فهـل أنــا راض بالــذي فيــه شــقوتي
فــإن كنــت بالمقــضي يــا قــوم راضــياً
فـــربي لا يـــرضى بـــشؤم بليَّتـــي
وهــل لي رضــا مــا لــيس يرضــاه سـيدي
فقد حرت دُلُّوني عـلى كـشف حـيرتي
إذا شــــاء ربي الكفـــــر منـــــي مـــشيئة
فهــل أنــا عــاصٍ في اتبــاع المــشيئة
وهـــل لي اختيـــار أن أخـــالف حكمـــه
فبـــالله فاشـــفوا بـــالبراهين غُلّتـــي

ثم إن شيخ الإسلام أجابه نظماً ، وهـو جـالس في مجلسه ، فأخـذ القلم ، وجعل يكتب الجواب ، وهم حاضرون فظنوا أنه يكتب نثـراً ، فإذا هو يكتب نظماً على نمـط ذلـك الـسؤال ، فـنظم في مجلسه مائـة

وثلاثين بيتاً على نمط تلك القصيدة التي نظمها ذلك الشاعر الذمّي .

والقصيدة موجودة في مؤلفات شيخ الإسلام ، أولها قوله :

سؤالك يا هذا سؤال معاند
مخاصم رب العرش باري البرية
فهذا سؤال خاصم الملأ العلا
قديماً به إبليس أصل البلية
ومن يكُ خصماً للمهيمن يرجعن
على أمّ رأسه هاوياً في الحُفيرة
ويُدعى خصوم الله يوم معادهم
إلى النار طراً معشر القدرية
سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصموا
به الله أو ماروا به للشريعة

إلى أن قال في آخرها :

فدونك علماً بالذي قد أجبت من
معان إذا انحلَّت بفهم غريزة

أشـــارت إلى أصـــل يـــشير إلى الهـــدى
ولله رب الخلـــق أكمـــل مـــدحتي

وقد طبعت هذه القصيدة في المجلد الثامن من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(١) ، وطبعت أيضاً في ترجمة شيخ الإسلام (العقود الدرية في مناقب الشيخ ابن تيمية) لابن عبدالهادي ، وتوجد أيضاً في غير ذلك .

ثم إن شيخنا عبدالرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله نظم أيضاً على نمطها أبياتاً مختصرة منها متضمنة لمدلولها .

كذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مطبوعة في المجلد الثامن من الفتاوى عنوانها : (أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل)(٢) ، والعنوان يظهر أنه ليس من وضع شيخ الإسلام ، وإنما هو من بعض النساخ .

كذلك أيضاً للعلامة ابن القيم كتاب كبير اسمه : (شفاء العليل) يدور حول القضاء والقدر ، وضح فيه المسألة وبيّن كيف يحتج بالقدر ؟ ومتى ؟ وأيضاً ذكر شيخ الإسلام القضاء والقدر

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٨/ ٢٤٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٨١ .

بكلام مختصر في كتابه (العقيدة الواسطية) ، حيث ذكر أن الإيمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى :

الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات ، والمعاصي ، والأرزاق ، والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق .. إلخ .

وأما الدرجة الثانية :

فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله ، وما لم يشأ لم يكن ... إلخ .

ثم قال : ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين ، المحسنين والمقسطين ، ثم قال: ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر .. إلخ .

ثم قال شيخ الإسلام : والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ... إلخ . ثم قال : وهذه الدرجة من

القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سمّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة .. إلخ في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(١) .

أقسام الناس في القدر

والإيمان بالقدر ينقسم الناس حوله ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من نفى قدرة الله على أفعال العباد :

وهم المعتزلة ، فقالوا : إن العبد يخلق فعله ، وليس لله قدرة على أفعال العباد ، بل العبد هو الذي يتحرك بنفسه ، وهو الذي يفعل بنفسه ، والله لا يقدر أن يرده ، فلو أراد العبد شيئاً ، وأراد الله ضده ، لم يقدر الله على أن يرده ! .

هؤلاء غلوا في قدرة العبد ، ونفوا قدرة الله ، وادعوا أن ذلك تنزيه لله ، وهؤلاء في الحقيقة قد تنقّصوا الله وجعلوه عاجزاً !

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٥٥٨٤) ، وأبوداود في كتاب السنة باب في القدر برقم (٤٦٥٨) ، وابن ماجه في كتاب السنة باب في القدر برقم (٩٢) .

وقد تكلم بعض العلماء عليهم في ذلك ، ومنهم صاحب شرح الطحاوية وغيره .

القسم الثاني : من نفى قدرة العبد على فعله ، وغلّب قدرة الله تعالى :

وهم الجبرية الذين لم يجعلوا للعبد أية قدرة ، بل جعلوه مجبوراً على حركاته ، وعلى أفعاله ، وليست له أية أفعال ، ولا تُنسب إليه أية أقوال ! بل إن حركته بمنزلة حركة الشجرة التي تحركها الرياح ، أو حركة المرتعش الذي ترتعد يداه ، ولا يقدر على أن يمسكهما ، فجعلوه مُجبراً على فعله ، ولم يجعلوا له أي اختيار في ذلك ، يقول قائلهم :

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتلّ بالماء

ويقول آخر :

وضعوا اللحم للبزاة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذا أطلقوا لهن الرسن
لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن

فكأنهم يقولون : إن الله هو الذي أوقع العبد في المعصية ، وهو الذي حرك أفعاله ، فإذن تعذيبه له يكون ظلماً ، فليس للعبد أي

اختيار ! ولا شك أنهم مخطئون .

ولا بأس أن أعلق على أقوالهم وإن كان الكلام يستدعي طولاً، فأقول :

إن هؤلاء متناقضون ؛ ذلك لأنهم لا يستمرون على ترك فعلهم بل إنهم لا يعتمدون عليه في كل الأحوال ، ولا يحتجون بالقدر في كل حال من الأحوال .

ونقول لهؤلاء : إذا كان الحال كذلك فلا تطلبوا المعيشة ما دام الله قدر لكم رزقاً ، فإنه سيأتيكم به ، اجلسوا في بيوتكم ، ولا تتكسبوا ، ولا تحرثوا ، ولا تزرعوا ، ولا تتاجروا ، ولا تتعلموا ، ولاتعملوا أي عمل ! بل لا تأكلوا ولا تشربوا ، ولا غير ذلك ، فإذا كان الله قد قدّر لكم ذلك فإنه سيأتيكم ويصل إليكم ! فلو قلنا ذلك لهم لما امتثلوا ، فدل ذلك على أنهم متناقضون .

فما دام أنك تقدر ، وأنك تُقلّب في أمور الدنيا فلماذا لا يكون لك قدرة على الأعمال الصالحة ، مثل العبادات ، والطاعات ، والحسنات ، والقربات ، ونحوها ؟

كذلك أيضاً نقول لهم : إن هذا كله بقضاء وقدر ولكن لكم أفعال تستطيعون بها أن تُنسب إليكم ، فقد روي أن عمر رضي الله عنه رُفع إليه سارق ، فلما أراد أن يقطع يده قال السارق :

يا أمير المؤمنين ، هذا قدر الله ، فالله قدّر عليّ هذه السرقة. فقال عمر رضي الله عنه : أنت سرقت بقدر الله ، ونحن نقطع يدك بقدر الله ، فإذا كان هذا بقدر ، فهذا أيضاً بقدر .

كذلك ذكر أن رجلاً كان يقود أعمى فجعل يقوده بعنف ، وجعل يعثر به في الحفر ، وفي الحجارة ونحوها ، ويقول : هذا بقدر ، هذا مقدر ، ثم إن الرجل الأعمى ضربه بعصاه بقوة ، فقال : هذا أيضاً بقدر ، فإذا كان تعثرك بي وتعمدك بي بقدر ، فأنا أضربك بقضاء وقدر .

ونقول لهؤلاء أيضاً : إن العقوبة التي رتبها الله تعالى على هذه الأفعال ، لا شك أنكم تستحقونها ؛ لأن الله رتّب على من فعل كذا عقوبةَ كذا ، فالعقوبة على أفعالكم بقضاء وقدر .

القسم الثالث : أهل السنة والجماعة :

إن عقيدة أهل السنة أن الله تعالى أعطى العبادة قدرة يزاولون بها أعمالهم ، أو جعل لهم اختياراً يفضلون به بعض الأعمال على بعض، فلذلك تنسب إليهم أعمالهم، وتُضاف إليهم أفعالهم، ولو كانت بقضاء الله وبقدره وبمشيئته ، فإنه سبحانه لا يُعصى قسراً ، ولا يكون في الوجود إلا ما يريد، ولكن له الحجَّة البالغة .

والله سبحانه وتعالى يذكر دائماً احتجاج المشركين بالقدر ، ثم

يرد عليهم وينكر عليهم ، مثل قولـه تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعـــام : ١٤] هذا احتجاج من المشركين بعموم مشيئة الله ، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعـــام : ١٤٨-١٤٩] فأخبر بأن لـه الحجة ، ولو شاء لهداهم .

ويقول تعـالى في آيـة أخـرى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤]، فهو سبحانه وتعـالى لـو شـاء لهداهم ، ولكن اقتضت حكمتـه أن يكـون في هـذا الخلـق سـعيد وشقي ، وفاجر وتقي ، وكافر ومسلم، ومشرك وموحد ، وعابـد وغير عابد ، اقتضت ذلك حكمة الله سبحانه وتعـالى ، واقتـضى أمره وحكمته أن جعل الناس قـسمين : فقـسم خلقهـم للجنـة ، وبعملها يعملون وقسم خلقهم للنار ، وبعلمها يعملون ، ومكّـن كلا منهم وأعطاهم إرادة ، وأعطاهم قدرة يزاولون بهـا أعمـالهم وتلك القدرة وتلك الإرادة هي التي يثابون أو يعاقبون عليها .

ومع ذلك فإنهم كلهم تحت مشيئة ا لله ، ولهم مشيئتهم ولكنها مرتبطة بمشيئة الله ، يقـول الله تعـالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكـــوير : ٢٨، ٢٩] ،

يعني أن لكم مشيئة على الاستقامة ، ومع ذلك فإن مشيئتكم مرتبطة بمشيئة الله . وقال تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر : ٥٥، ٥٦] . وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠] .

فالله أثبت للعباد مشيئةً ولكنها مغلوبة بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وله الحكمة في ذلك ، وبمشيئة هؤلاء العباد الذين مكّنهم وأعطاهم إياها يُثابون ويُعاقبون عليها .

فعلى كل نقول لهؤلاء الذين يقولون : (سبق الكتاب) ، و(كُتب الكتاب) ، ونحو ذلك ، نقول لهم : قد قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة» فقال رجل من القوم : ألا نتكل ؟ قال ﷺ : « لا ، أعملوا فكل ميسر لما خُلق له » ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل : ٥-١٠][1] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير باب ﴿فسنيسره لليسرى﴾ (٤٩٤٦) ، ورواه مسلم كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي برقم (٢٦٤٧) .

فقد أثبت الله تعالى في هذه الآية أن للإنسان عملاً فقال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ وهذه كلها أعمال ، ثم قال : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي إذا عمل صالحاً كالتقوى والصدق ونحوها فإنا سنيسره لليسرى ، ثم قال : ﴿بخل واستغنى وكذب﴾ وهذه أيضاً أعمال ، وقال : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أي إذا عمل أعمالاً غير صالحة ، كالبخل والكذب ونحوها فإنا سنيسره للعسرى .

فالإنسان إذاً له عمل ، وعمله هو أنه يُؤمر فيأتمر ويمتثل ، ويكون ذلك بمشيئة الله ، فلو شاء الله تعالى لم يستطع ، ولو شاء الله لردّه ، ولحال بينه و بين ذلك ، لكنه شاء وله مشيئته التامة ، فخلّى بينه وبين هذا الاختيار ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وتوعّدهم على ذلك .

فتوعّدهم على الشر بأنه يعاقبهم عليه ، وإن كان الله قادراً على هدايتهم ، ووعدهم على الخير بأنه يثيبهم عليه ، وإن كان الله قادراً على إضلالهم ، وله الحكمة البالغة بأن خلق هؤلاء للجنة وهداهم ، وأقبل بقلوبهم فله المنة عليهم ، فلا ينعمهم إلا بفضله ، وخلق هؤلاء للنار ، ويعذبهم بها ، وإن كان قادراً على أن يهديهم ، ولكنه حال بينهم وبين ذلك ، ولم يوفقهم لأسباب الهداية ، وجعل لهم الاختيار في أن فضلوا الشر على الخير ، فإن

عملوا بالشر وصاروا من أهله عاقبهم ربهم ، وعقوبتهم تكون عدلاً منه وليس ظلماً ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩].

وبالجملة فإن الكلام في هذا يطول ، ومن أراد أن يتوسع في ذلك فليراجع رسالة شيخ الإسلام وغيرها من الرسائل ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

مثالان في القضاء والقدر

وبعد هذا الجواب المفصل المقنع إن شاء الله فإننا نذكر ـ لمزيد من الفائدة ـ مثالين واقعين لكثير من الناس في القضاء والقدر ، وقد ذكرهما فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في كتابه (الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية) ، فقال :

المثال الأول :

رجل كان مسرفاً على نفسه ، كثيرة الجراءة على المعاصي ، فقال له صاحبه ـ وهو يناصحه ويحاوره ـ : أما ترتدع عما أنت عليه؟ أما تتوب إلى ربك وتنيب إليه ؟ أما علمت أن عقابه شديد على العاصين ؟

فقال المسرف : دعني أتمتع فيما أريد ، فلو شاء الله لهداني ، ولو أراد لي غير ذلك لما أغواني .

فقال له الناصح : بهذا الاعتذار الكاذب ازداد جرمك ، وتضاعف ذنبك ، فإن الله لم يغوك ، بل الذي أغواك : الشيطان ، وانقادت له النفس الأمارة بالوسوء ، حيث قال الشيطان مخاطباً لربه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص : ٨٢، ٨٣] ، فالشيطان دعاك إلى المعاصي فأجبته ، والله دعاك إلى الهدى فعصيته ، بين الله لك السعادة وطرقها ، وسهل أسبابها ، ورغبك فيها ، ووضح لك طريق الشقاوة ، وحذرك من سلوكها ، واتباع خطوات الشيطان ، وأخبرك بما تؤول إليه من العذاب الشديد ، فرضيت ، واستبدلت الضلالة بالهدى ، والشقاوة بالسعادة ، وجعل لك قدرة ، وإرادة تختار بهما ، وتتمكن بهما من كل ما تريد ، ولم يلجئك إلى فعل المعاصي ، ولا منعك من الخير ، فسلكت طريق الغي وتركت طريق الرشد ، فلا تلم إلا نفسك، أما سمعت ما يقوله الشيطان لأتباعه يوم القيامة ، حيث يقوم خطيباً فيهم : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

فقال المسرف : كيف أستطيع أن أترك ما أنا فيه ، والله هو الذي قدَّره عليَّ ؟ وهل يمكنني الخروج عن قضائه وقدره ؟

فقال له الناصح : نعم ، يمكنك الخروج بقدره ، والتوبة والإقلاع عما أنت فيه ـ وأنت تعلم علماً لا تشك فيه ـ من قدر الله ، فارفع قدر الله بقدره ، ثم إن قولك إن المعاصي الواقعة مني من قدر الله ، إن أردت أن الله أجبرك عليها وحال بينك وبين الطاعة ، فأنت كاذب ، وأول من يعلم كذبك نفسك ، فإنك تعلم كل العلم أنك لو أردت ترك الذنوب لما فعلتها ، ولو أردت إرادة جازمة فعل الواجبات لفعلتها ، فلقد أقدمت على المعاصي برغبة منك ومحبة لها ، وإرادة لا تشك ولا يشك غيرك فيها ، وتعلم أن قولك : إنها بقضاء الله وقدره ، ودفع اللوم عنك ، فهل تقبل هذا العذر لو ظلمك ظالم ، أو تجرأ عليك متجرئ ، وقال : إني معذور بالقدر فلا تلمني ، أما يزيدك كلامه هذا حنقاً وتعرف أنه متهكم بك ؟ .

فقال المسرف : بلى ، هذا هو الواقع .

فقال الناصح : كيف ترضى أن تعامل ربك ـ الذي خلقك وأنعم عليك النعم الكثيرة ـ بما لا ترضى أن يعاملك به الناس؟

وإن أردت بقول : إنها بقضاء وقدر ، بمعنى أن الله علم مني أني سأقدم عليها ، وأعطاني قدرة وإرادة أتمكن بهما من فعلها ، وأنا الذي فعلت المعاصي بما أعطاني ربي من القوة التي مكنني فيها من المعاصي ، وأعلم أنه لم يجبرني ولم يقهرني ، وإنما أنا الذي فعلت ، وأنا الذي تجرأت : فقد رجعت إلى الحق والصواب ، واعترفت لله بالحجة البالغة على عباده .

المثال الثاني : في الآجال والأرزاق :

اعلم أن الآجال والأرزاق كسائر الأشياء مربوطة بقضاء الله وقدره ، فالله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

أسباب الزيادة والنقصان في عمر ورزق الإنسان :

فهذا أمر لا ريب فيه ولا شك ، ومع ذلك فهي أيضاً كغيرها لها أسباب دينية ، وأسباب طبيعية مادية ، والأسباب تبع قضاء الله وقدره ، ولو كان شيء سابقاً القضاء والقدر من الأسباب : لسبقته العين ، لقوتها ونفوذها .

أولاً : الأسباب الدينية :

فمن الأسباب الدينية لطول العمر وسعة الرزق لزوم التقوى والإحسان إلى الخلق ، لا سيما الأقارب ، كما ثبت في الصحيحين

عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحب أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره ـ أي يطيل عمره ـ فليصلْ رحمه »(١) .

وذلك أن الله يجازي العبد من جنس عمله ، فمن وصل رحمه ، وصل الله أجله ورزقه وصلاً حقيقياً ، وضده من قطع رحمه ، قطعه الله في أجله ، وفي رزقه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢، ٣] .

ومن الأسباب الدينية لقطع طول العمر : البغي والظلم للعباد، فالباغي سريع المصرع ، والظالم لا يغفل الله عن عقوبته ، وقد يعاقبه عاجلاً بقصم العمر .

ومن الأسباب الدينية لمحق الرزق المعاملات المحرمة كالربا والغش ، وأكل أموال الناس بالباطل ، فصاحبها يظن ـ بل يجزم ـ أنها توسع عليه الرزق ، ولهذا تجرّأ عليها ، والله تعالى يعامله بنقيض قصده ، قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

فالمعاملة بالربا تمحق صاحبها ، وتمحق ماله ، وإن تمتع به قليلاً فمآله إلى المحق والقلة ، كما أن المتصدق يفتح الله له من أبواب

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٨٦) ، ومسلم برقم (٢٥٥٧) .

الرزق ما لا يفتحه على غيره ، كما قال النبي ﷺ : « ما نقص مال من صدقة »[١] .

وكذلك الغش وأكل أموال اليتامى ، والأوقاف بغير حق من أكبر أسباب المحق ، مع ما على صاحبها من الإثم والعقوبة .

ثانياً : الأسباب الطبيعية :

ومن أسباب طول العمر وقصره الطبيعية ، الصحة والمرض ، فالعافية من الأسقام سبب لطول العمر ، كما أن الأمراض بأنواعها سبب لقصره .

والمسكن والبقعة إذا كانت صحيحة طيبة الهواء ، صارت من أسباب عافية أهلها وطول أعمارهم ، والعكس بالعكس ، البقاع الرديئة المناخ والهواء ، أو البقاع الوبيئة ، سبب لقصر العمر ، كما هو مشاهد .

والتوقي عن المخاطر والمهالك ، واستعمال الأسباب الواقية ، فائدتها في طول العمر ظاهرة ، والإلقاء بالنفس إلى التهلكة ، وسلوك المخاطر ، وكل أمر فيه خطر ، سبب ظاهر للهلاك ، والأمثلة في هذا كثيرة .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع بلفظ (ما نقصت صدقة من مال) برقم (٢٥٨٨) .

ثالثاً : من الأسباب المادية :

ومن الأسباب المادية في حصول الرزق وسعته استعمال المكاسب النافعة ، وهي كثيرة متنوعة ، كل أحد يناسب له ما يوافقه ويحسنه ، ويليق بحاله ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فيدخل في هذا العمل جميع الأسباب النافعة ، كالزراعة مثلاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة : ٢٦٧] إلى غير ذلك من الآيات .

وكل هذه الأمور تابعة لقضاء الله وقدره ، فإن الله تعالى قدّر الأمور بأسبابها ، فالأسباب والمسببات من قضاء الله وقدره ، ولهذا لما قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها، وتُقاة نتقيها ، ورُقى نسترقيها ، هل ترد من قضاء الله وقدره شيئاً؟ قال : « هي من قضاء الله وقدره » ، وفي لفظ : « إنها من قدر الله » ، وفي رواية : « ذلك من قدر الله »(١) .

وكذلك الأدعية المتنوعة سبب كبير لحصول المطلوب ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (١٥٥٥١) ، والترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية (٢٠٦٥) ، وابن ماجه كتاب الطب باب ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء برقم (٣٤٣٧) .

والسلامة من المرهوب ، وقد أمر الله بالدعاء ، ووعد الإجابة ، والدعاء نفسه والإجابة كلها داخلة في القضاء والقدر .

وقد جمع النبي ﷺ الأمر بالعمل بكل سبب نافع ، مع الاستعانة بالله ، كما ثبت في الصحيح مرفوعاً : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز »[١] .

فهذا أمر بالحرص على الأسباب النافعة في الدين والدنيا ، مع الاستعانة بالله ؛ لأن هذه هي الاستقامة ، وذلك لأن الانحراف يكون بأحد أمور ثلاثة :

الأمر الأول : إما أن لا يحرص على الأمور النافعة ، بل يكسل عنها ، وربما اشتغل بضدها .

الأمر الثاني : أن يشتغل بها ولكن يتكلّ على حوله وقوته ، وينظر إلى الأسباب ، ويتعلق جميع قلبه بها ، وينقطع عن مسببها.

الأمر الثالث : أن لا يشتغل بالأسباب النافعة ، ويزعم أنه متوكل على الله ، فإن التوكل لا يكون إلا بعد العمل بالأسباب ، فهذا الحديث بيّن فيه النبي ﷺ الطرق النافعة للعباد .

والله أعلم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له برقم (٢٦٦٤).

وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها

تأليف سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين وعلى آله وأصحابه الذين حملوا كتاب ربهم سبحانه وسنة نبيهم ﷺ على من بعدهم بغاية الأمانة والإتقان والحفظ التام للمعاني والألفاظ ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان .

أما بعد : فقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن الأصول المعتبرة في إثبات الأحكام ، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ثم إجماع علماء الأمة ، واختلف العلماء في أصول أخرى أهمها القياس وجمهور أهل العلم على أنه حجة إذا استوفى شروطه المعتبرة ، والأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر :

أما الأصل الأول : فهو كتاب الله العزيز ، وقد دل كلام ربنا عز وجل في مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب والتمسك به والوقوف عند حدوده قال تعالى : ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف: ٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة :١٥-١٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت :٤١-٤٢] ، وقال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام :١٩]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم :٥٢] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ آمرة بالتمسك بالقرآن والاعتصام به ، دالة على أن من تمسك به كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلال ، ومن ذلك ما ثبت عنه ﷺ أنه قال في خطبته في حجة الوداع : « إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به : كتاب الله » . رواه مسلم في صحيحه ، وفي صحيح مسلم أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال : « إني تاركٌ فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : « وأهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي » ، وفي لفظ قال : « في القرآن هو حبل الله ، من تمسك به كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلال » .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وفي إجماع أهل العلم والإيمان من الصحابة ومن بعدهم على وجوب التمسك بكتاب الله والحكم والتحاكم إليه مع سنة رسول الله ﷺ ما يكفي ويشفي عن الإطالة في ذكر الأدلة الواردة في هذا الشأن .

أما الأصل الثاني ـ من الأصول الثلاثة المجمع عليها ـ فهو ما صح عن رسول الله ﷺ ومن بعدهم يؤمنون بهذا الأصل الأصيل ويحتجون به ويعلمونه الأمة ، وقد ألّفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة ، وأوضحوا ذلك في كتب أصول الفقه والمصطلح والأدلة على ذلك لا تحصى كثرة ، فمن ذلك ما جاء في كتاب الله العزيز من الأمر باتباعه وطاعته ، وذلك موجه إلى أهل عصره ومن بعدهم لأنه رسول الله إلى الجميع ، ولأنهم مأمورون باتباعه وطاعته حتى تقوم الساعة ؛ ولأنه عليه الصلاة والسلام هو

المفسر لكتاب الله والمبيِّن لما أجمل فيه بأقواله وأفعاله وتقريره ، ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها ولم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات ، وما أوجب الله بها من حدود وعقوبات .

ومما ورد في ذلك من الآيات قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ٣٢] ، وقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩] .

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء :٨٠] . وكيف يمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله إذا كانت سنته لا يحتج بها أو كانت كلها غير محفوظة ، وعلى هذا القول يكون الله قد أحال عباده إلى شيء لا وجود له ، وهذا من أبطل الباطل ومن أعظم الكفر بالله وسوء الظن به ، وقال عز

وجل في سورة النحل : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤] ، وقال فيها أيضاً آية : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ، فكيف يكل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ تبيين المنزل إليهم وسنته لا وجود لها ؟ أو لا حجة فيها ؟ ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النور : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور :٥٤]. وقال تعالى في السورة نفسها: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور :٥٦] .

وقال في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

وفي هذه الآيات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة في اتباعه عليه الصلاة والسلام ، وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته أو القول بأنه لا صحة لها أو لا يعتمد عليها ، وقال عز

وجل في سورة النور : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣] ، وقال في سورة الحشر : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به كما سبقت الأدلة على وجوب اتباع كتاب الله والتمسك به وطاعة أوامره ونواهيه وهما أصلان متلازمان ، من جحد واحداً منهما فقد جحد الآخر وكذب به ، وذلك كفر وضلال وخروج عن دائرة الإسلام بإجماع أهل العلم والإيمان ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في وجوب طاعته واتباع ما جاء به وتحريم معصيته وذلك في حق من كان في عصره وفي حق من يأتي بعده إلى يوم القيامة ، ومن ذلك ما ثبت عنه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله » ، وفي صحيح البخاري عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قيل : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » . وخرج أحمد وأبوداود والحاكم بإسناد صحيح عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ،

ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم من حلال فأحِلُّوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» .

وخرج أبوداود وابن ماجه بسند صحيح : عن ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

وعن الحسن بن جابر قال : سمعت المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه يقول : « حرَّم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال : يوشك أحدُكم أن يكذبني وهو متكئ يحدِّثُ بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدناه فيه من حرام حرمناه ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » أخرجه الحاكم والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه كان يوصي أصحابه في خطبته أن يبلغ شاهدهم غائبهم ويقول لهم : « رُبَّ مبلغ أوعى من سامع » ، ومن ذلك ما في الصحيحين أن النبي ﷺ لما خطب الناس في حجة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر قال لهم : « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرُبَّ من يبلغه أوعى له ممن سمعه » ، فلولا أن سنته حجة على من سمعها وعلى من بلغته ،

ولولا أنها باقية إلى يوم القيامة لم يأمرهم بتبليغها ، فعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام وعلى من نقلت إليه بالأسانيد الصحيحة .

وقد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية وبلغوها من بعدهم من التابعين ثم بلغها التابعون من بعدهم ، وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ، وجمعوها في كتبهم وأوضحوا صحيحها من سقيمها ، ووضعوا لمعرفة ذلك قوانين وضوابط معلومة بينهم يعلم بها صحيح السنة من ضعيفها ، وقد تداول أهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرهما وحفظوها حفظاً تاماً كما حفظ الله كتاب العزيز من عبث العابثين وإلحاد الملحدين وتحريف المبطلين تحقيقاً لما دل عليه قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ولا شك أن سنة رسول الله ﷺ وحيٌ منزل ، فقد حفظها الله كما حفظ كتابه وقيض الله لها علماءً نقاداً ، ينفون عنها تحريف المبطلين وتأويل الجاهلين ويذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذابون والملحدون ؛ لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم وبياناً لما أجمل فيه من الأحكام وضمنها أحكاماً أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز ، كتفصيل أحكام

الرضاع وبعض أحكام المواريث وتحريم الجمع ين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز .

ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة . فقال له عمر رضي الله عنه : كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ : « أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» فقال أبوبكر الصديق : أليست الزكاة من حقها ؟ والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فقال عمر رضي الله عنه : فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . وقد تابعه الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ، فقاتلوا أهل الردة حتى ردوهم إلى الإسلام وقتلوا من أصر على ردته ، وفي هذه القصة أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها ، وجاءت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها : ليس لك في كتاب الله شيء ، ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك

بشيء ، وسأسأل الناس ، ثم سأل رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس ، فقضى لها بذلك .

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عمّاله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله ، فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ ، ولما أشكل عليه حكم إملاص المرأة وهو إسقاطها جنيناً ميتاً بسبب تعدي أحد عليها سأل الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فشهد عنده محمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما بأن النبي ﷺ قضى في ذلك بغرة عبد أو أمة ، فقضى بذلك رضي الله عنه .

ولما أشكل على عثمان رضي الله عنه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها وأخبرته فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله قضى بذلك رضي الله عنه ، وهكذا قضى بالسنة في إقامة حد الشرب على الوليد بن عقبة .

ولما بلغ علياً رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه ينهى عن متعة الحج أهلَّ علي رضي الله عنه بالحج والعمرة جميعاً وقال : لا أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس ، ولما احتج بعض الناس على ابن عباس رضي الله عنهما في متعة الحج بقول

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في تحبيذ إفراد الحج قال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبوبكر وعمر ؟ .

فإذا كان من خالف السنة لقول أبي بكر وعمر تخشى عليه العقوبة فكيف بحال من خالفها لقول من دونهما أو لمجرد رأيه واجتهاده ؟

ولما نازع بعض الناس عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في بعض السنة قال له عبدالله : هل نحن مأمورون باتباع عمر ؟

ولما قال رجل لعمران بن حصين رضي الله عنهما : حدثنا عن كتاب الله وهو يحدثهم عن السنة غضب رضي الله عنه وقال : إن السنة هي تفسير كتاب الله .

ولولا السنة لم نعرف أن الظهر أربع والمغرب ثلاث والفجر ركعتان ، ولم نعرف تفصيل أحكام الزكاة إلى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام . والقضايا عن الصحابة رضي الله عنهم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جداً .

ومن ذلك أيضاً أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لما حدَّث بقوله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله » قال بعض أبنائه :

والله لنمنعهنّ . فغضب عليه عبدالله وسبَّه سباً شديداً ، وقال : أقول قال رسول الله وتقول والله لنمنعهن .

ولما رأى عبدالله بن المغفل المزني رضي الله عنه ـ وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ـ بعض أقاربه يخذف ، نهاه عن ذلك ، وقال له : إن النبي ﷺ نهى عن الخذف وقال : « إنه لا يصيد صيداً ، ولا ينكأ عدواً ، ولكنه يكسر السن ، ويفقأ العين » ، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال : والله لا كلمتك أبداً ، أخبرك أن رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف ثم تعود ؟ .

وأخرج البيهقي عن أيوب السختياني التابعي الجليل أنه قال : إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا . وأنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال .

وقال الأوزاعي رحمه الله : السنة قاضية على الكتاب أو تقييد ما أطلقه أو بأحكام لم تذكر في الكتاب كما في قول الله سبحانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤] وسبق قوله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» وأخرج البيهقي عن عامر الشعبي رحمه الله أنه قال لبعض الناس : إنما هلكتم في حين تركتم الآثار . يعني بذلك الأحاديث الصحيحة.

وأخرج البيهقي أيضاً عن الأوزاعي رحمه الله أنه قال لبعض أصحابه : إذا بلغك عن رسول الله حديث فإياك أن تقول بغيره ، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى .

وأخرج البيهقي عن الإمام الجليل سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله أنه قال : إنما العلم كله العلم بالآثار . وقال مالك رحمه الله : ما منا إلا رادّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ـ وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ ـ .

وقال أبوحنيفة رحمه الله : إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين .

وقال الشافعي رحمه الله : متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب .

وقال أيضاً رحمه الله : إذا قلت قولاً وجاء الحديث عن رسول الله ﷺ بخلافه فاضربوا بقول الحائط .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه : لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي وخذ من حيث أخذنا .

وقال أيضاً رحمه الله : عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول ﷺ يذهبون إلى رأي سفيان والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:

٦٣] ثم قال : أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله عليه الصلاة والسلام أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وأخرج البيهقي عن مجاهد بن جبر التابعي الجليل أنها قال في قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء :٥٩] قال : الرد إلى الله الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول الرد إلى السنة.

وأخرج البيهقي عن الزهري رحمه الله أنه قال : كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة .

وقال موفق الدين ابن قدامة رحمه الله في كتابه روضة الناظر : في بيان أصول الأحكام ما نصه : والأصل الثاني من الأدلة سنة رسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ حجة لدلالة المعجزة على صدقه وأمر الله بطاعته وتحذيره من مخالفة أمره . انتهى المقصود .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :٦٣] أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان .

كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك ، كما روى الإمام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : و مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها . قال : فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها » أخرجاه من حديث عبدالرزاق .

وقال السيوطي رحمه الله في رسالته المسماة « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » ما نصه : « اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجةً كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى ، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة » . انتهى

المقصود.

والآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جداً، وأرجو أن يكون في ما ذكرنا من الآيات والأحاديث والآثار كفاية ومقنع لطالب الحق ، ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه ، والسلامة من أسباب غضبه ، وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

في المملكة العربية السعودية .

التحذير من البدع

لسماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

التحذير من البدع[1]

الرسالة الأولى

في حكم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فقد تكرر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ والقيام له في أثناء ذلك ، وإلقاء السلام عليه ، وغير ذلك مما يفعل في الموالد .

والجواب : أن يقال : لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره ؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين ؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة ، وهم أعلم الناس بالسنة ، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ، ومتابعة لشرعه ممن بعدهم . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود عليه ، وقال في حديث آخر:

---

(١) صدرت ضمن رسالة طبعتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، طبعت عدة طبعات .

« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها ، وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وقال عز وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :٦٣] ، وقال سبحانه : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة :١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع

الله ما لم يأذن به ، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله وهذا بلا شك فيه خطر عظيم ، واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين ، وأتم عليهم النعمة .

والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيَّنه للأمة ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمَّته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم » رواه مسلم في صحيحه . ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم ، وأكملهم بلاغاً ونصحاً ، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة ، أو فعله في حياته ، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم ، فلما لم يقع شيء من ذلك عُلم أنه ليس من الإسلام في شيء ، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته ، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين . وقد جاء في معناهما أحاديث أخر مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» رواه الإمام مسلم في صحيحه .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها ، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله ﷺ واختلاط النساء بالرجال ، واستعمال آلات الملاهي ، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر ، وظنوا أنها من البدع الحسنة ، والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله ، وسنة رسوله محمد ﷺ .

كما قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء :٥٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:١٠]، وقد رددنا هذه المسألة ـ وهي الاحتفال بالموالد ـ إلى كتاب الله سبحانه ، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ، ويحذرنا عما نهى عنه ، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها ، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه ، وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ، ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم ، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين ، بل

هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق ، وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام ، بل هو من البدع المحدثات ، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها ، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار ، فإن الحق لا يُعرف بكثرة الفاعلين ، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ١١٠] وقال تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] الآية ، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد ـ مع كونها بدعة ـ لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال ، واستعمال الأغاني والمعازف ، وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور ، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد ، واعتقاده أنه يعلم الغيب ، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم بالأولياء ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إياكم

والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله » خرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن العجائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة ، ويدافع عنها ، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات ، ولا يرفع بذلك رأساً ، ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً ، ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة ، وكثرة ما ران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي ، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين .

ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد ولهذا يقومون له محيّين ومرحبين ، وهذا من أعظم الباطل ، وأقبح الجهل ، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولا يتصل بأحد من الناس ، ولا يحضر اجتماعاتهم ، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة ، وروحه في أعلى عليّين عند ربه في دار الكرامة كما قال الله تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون :١٥-١٦]، وقال النبي ﷺ : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأنا أول شافع وأول مشفع» عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، فهذه

الآية الكريمة ، والحديث الشريف ، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة ، وهذا أمرٌ مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم ، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور ، والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا به .

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وقال النبي ﷺ : « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً » ، وهي مشروعة في جميع الأوقات ، ومتأكدة في آخر كل صلاة ، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة، منها ما بعد الأذان ، وعند ذكره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وفي يوم الجمعة وليلتها ، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة .

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه ، وأن يَمنّ على الجميع بلزوم السنة ، والحذر من البدعة ، إنه جواد كريم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الرسالة الثانية

حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد : فلا ريب أن الإسراء والمعراح من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل ، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة وعلى علوه سبحانه وتعالى على جميع خلقه ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء :١]، وتواتر عن رسول الله ﷺأنه عرج به إلى السماء وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة ، فكلمه ربه سبحانه بما أراد وفرض عليه الصلوات الخمس وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمساً في الفرض وخمسين في الأجر ؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه .

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره ، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث

ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها ، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات ، ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها ولم يخصوها بشيء ، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبيّنه الرسول ﷺ للأمة إما بالقول ، وإما بالفعل ، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا ، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة ولم يفرطوا في شيء من الدين بل هم السابقون إلى كل خير ، فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ وأدى الأمانة فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء ، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله قال سبحانه تعالى في كتابه المبين من سورة المائدة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة :٣] ، وقال عز وجل في سورة الشورى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى :٢١] ، وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع والتصريح بأنها ضلالة تنبيهاً للأمة على عظم خطرها وتنفيراً لهم من اقترافها ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة » زاد النسائي بسند جيد : « وكل ضلالة في النار » ، وفي السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح

بعدهم التحذير من البدع والترهيب منها وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين وشرع لم يأذن به الله وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله ؛ ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي واتهامه بعدم الكمال ، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم والمنكر الشنيع والمصادمة لقول الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام المحذرة من البدع والمنفرة منها ، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة كفاية ومقنع لطالب الحق في إنكار هذه البدعة ، أعني بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج والتحذير منها ، وإنها ليست من دين الإسلام في شيء ، ولما أوجب الله من النصح للمسلمين وبيان ما شرع الله له من الدين وتحريم كتمان العلم رأيت تنبيه إخواني المسلمين على هذه البدعة التي قد فشت في كثير من الأمصار ، حتى ظنها بعض الناس من الدين ، والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ويمنحهم الفقه في الدين ، ويوفقنا وإياهم للتمسك بالحق والثبات عليه وترك ما خالفه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

الرسالة الثالثة

حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد نبي التوبة والرحمة .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] وقال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺقال : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة الجمعة : «وأما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تدل دلالة صريحة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته ، ولم يتوفَّ نبيه عليه الصلاة والسلام إلا بعدما بلغ البلاغ المبين وبين للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال ، وأوضح ﷺ أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه إلى

دين الإسلام من أقوال أو أعمال فكله بدعة مردودة على من أحدثه ، ولو حسن قصده ، وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ الأمر وهكذا علماء الإسلام بعدهم فأنكروا البدع وحذروا منها كما ذكر ذلك كل من صنف في تعظيم السنة وإنكار البدعة كابن وضاح والطرطوشي وأبي شامة وغيرهم ومن البدع التي أحدثها بعض الناس بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان وتخصيص يومها بالصيام وليس على ذلك دليل يجوز الإعتماد عليه وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها .

أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم وسيأتي ذكر بعض كلامهم إن شاء الله وورد فيها أيضا آثار عن بعض السلف من أهل الشام وغيرهم والذي أجمع عليه جمهور العلماء أن الاحتفال بها بدعة وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة وبعضها موضوع وممن نبه على ذلك الحافظ ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» وغيره والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي قد ثبت أصلها بأدلة صحيحة .

أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان فليس له أصل صحيح حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة ، وقد ذكر هذه القاعدة

الجليلة الإمام أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وأنا أنقل لك أيها القارىء ما قاله بعض أهل العلم في هذه المسألة حتى تكون على بينة في ذلك ، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن الواجب رد ما تنازع فيه الناس من المسائل إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة رسول الله ﷺ فما حكما به أو أحدهما فهو الشرع الواجب الاتباع ، وما خالفهما وجب طرحه وما لم يرد فيهما من العبادات فهو بدعة لا يجوز فعله فضلا عن الدعوة إليه وتحبيذه كما قال سبحانه في سورة النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران :٣١]، وقال عز وجل : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي نص في وجوب رد مسائل الخلاف إلى الكتاب والسنة ووجوب الرضى بحكمهما وأن ذلك هو مقتضى الإيمان وخير للعباد في العاجل والآجل وأحسن تأويلاً أي عاقبة .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه لطائف المعارف في هذه المسألة بعد كلام سبق ما نصه : « وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ، وقد قيل أنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة ونقله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة ، واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين أحدهما : أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد ، كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويتكحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة . نقله حرب الكرماني في مسائله والثاني أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم ، وهذا هو الأقرب إن شاء الله

تعالى ... إلى أن قال : ... ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان ويتخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد ، فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه واستحبها في رواية لفعل عبدالرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين ، فكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام » . انتهى المقصود من كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله، وفيه التصريح منه بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في ليلة النصف من شعبان ، وأن ما اختاره الأوزاعي رحمه الله من استحباب قيامها للأفراد واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول فهو غريب وضعيف ؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً لم يجز للمسلم أن يحدثه في دين الله سواء فعله مفرداً أو في جماعة وسواء أسره أو أعلنه لعموم قول النبي ﷺ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه « الحوادث والبدع » ما نصه : « وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال : ما

أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلاً على ما سواها ، وقيل لابن أبي مليكة : إن زيادا يقول إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر . فقال : لو سمعته وبيدي عصا لضربته وكان زيادا قاصاً ». انتهى المقصود .

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في « الفوائد المجموعة » ما نصه : « حديث « يا علي من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات قضى الله له كل حاجة ... » إلخ ، هو موضوع وفي ألفاظه المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمتري إنسان له تمييز في وضعه ، ورجاله مجهولون ، وقد روي من طريق ثانية وثالثة كلها موضوعة ورواتها مجاهيل » .

وقال في « المختصر » : « حديث صلاة نصف شعبان باطل ولابن حبان من حديث علي : إذا كان ليلة النصف من شعبان باطل « فقوموا ليلها وصوموا نهارها » ضعيف . وقال في اللآلئ: « مائة ركعة في نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات مع طول فضله للديلمي وغيره موضوع ، وجمهور رواته في الطرق الثلاث مجاهيل موضوع وأربع عشرة ركعة موضوع ، وقد اغتر بهذا

الحديث جماعة من الفقهاء كصاحب « الإحياء » وغيره وكذا من المفسرين ، وقد رويت صلاة هذه الليلة ـ أعني ليلة النصف من شعبان ـ على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة ولا ينافي هذا رواية الترمذي من حديث عائشة لذهابه ﷺ إلى البقيع ونزول الرب ليلة النصف إلى سماء الدنيا ، وأنه يغفر لأكثر من عدة شعر غنم كلب ، فإن الكلام إنما هو في هذه الصلاة الموضوعة في هذه الليلة على أن حديث عائشة هذا فيه ضعف وانقطاع ، كما أن حديث علي الذي تقدم ذكره في قيام ليلها لا ينافي كون هذه الصلاة موضوعة على ما فيه من الضعف حسبما ذكرناه ». انتهى المقصود .

وقال الحافظ العراقي : « حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله ﷺ وكذب عليه » .

وقال الإمام النووي في كتاب « المجموع » : « الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ولا يغتر بذكرهما في كتاب «قوت القلوب » و « إحياء علوم الدين » ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما

من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فإنه غالط في ذلك » .

وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً نفيساً في إبطالهما فأحسن فيه وأجاد وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جداً ولو ذهبنا ننقل كل ما اطلعنا عليه من كلام في هذه المسألة لطال بنا الكلام ، ولعل فيما ذكرنا كفاية ومقنعا لطالب الحق ومما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتضح لطالب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها وتخصيص يومها بالصيام بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم وليس له أصل في الشرع المطهر بل هو مما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ، ويكفي طالب الحق في هذا الباب وغيره قول الله عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وما جاء في معناها من الآيات ، وقول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ـ وما جاء في معناه من الأحاديث وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يومها بالصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم» فلو كان تخصيص شيء من الليالي بشيء من العبادة جائزا لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها لأن يومها هو

خير يوم طلعت عليه الشمس بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فلما حذر النبي ﷺ من تخصيصها بقيام من بين الليالي دل ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى لا يجوز تخصيص شيء منها بشيء من العبادة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص ، ولما كانت ليلة القدر وليالي رمضان يشرع قيامها والاجتهاد فيها نبه النبي ﷺ على ذلك وحث الأمة على قيامها وفعل ذلك بنفسه كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنوبه » فلو كانت ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب أو ليلة الإسراء والمعراج يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة لأرشد النبي ﷺ الأمة إليه أو فعله بنفسه ، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمة ولم يكتموه عنهم وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم ، وقد عرفت آنفا من كلام العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب ولا في ليلة النصف من شعبان ؛ فعُلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام وهكذا تخصيصها بشيء من العبادة بدعة

منكرة ، وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب التي يعتقد بعض الناس أنها ليلة الإسراء والمعراج لا يجوز تخصيصها بشيء من العبادة ، كما لا يجوز الاحتفال بها للأدلة السابقة هذا لو علمت فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تعرف ، وقول من قال أنها ليلة سبع وعشرين من رجب قول باطل لا أساس له في الأحاديث الصحيحة ، ولقد أحسن من قال :

وخير الأمور السالفات على الهدى

وشر الأمور المحدثات البدائع

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالسنة والثبات عليها والحذر مما خالفها إنه جواد كريم ، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى وصحبه أجمعين .

* * *

الرسالة الرابعة

تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة

للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين حفظهم الله بالإسلام ، وأعاذنا وإياهم من شر مفتريات الجهلة الطغام ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد اطلعت على كلمة منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان : (هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف) قال فيها : كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم ، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم ، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول الله ﷺ الذي أتى بالآيات القرآنية ، والأحكام الشريفة ، رحمة بالعالمين سيدنا محمد ﷺ فقال : يا شيخ أحمد . قلت : لبيك يا رسول الله ، يا أكرم خلق الله . فقال لي : أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة ، ولم أقدر أن أقابل ربي ، ولا الملائكة ؛ لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام ، ثم ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي . ثم قال : فهذه

الوصية رحمة بهم من العزيز الجبار ، ثم ذكر بعض أشراط الساعة إلى أن قال : فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية ؛ لأنها منقولة بقلم القدر من اللوح المحفوظ ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد ، ومن محل إلى محل بُني له قصر في الجنة ، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة ، ومن كتبها وكان فقيراً أغناه الله ، أو كان مديوناً قضى الله دينه ، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية ، ومن لم يكتبها من عباد الله اسودّ وجهه في الدنيا والآخرة ، وقال : والله العظيم ثلاثاً هذه حقيقة ، وإن كنت كاذباً أخرج من الدنيا على غير الإسلام ، ومن يصدّق بها ينجو من عذاب النار ، ومن كذب بها كفر) .

هذه خلاصة ما في هذه الوصية المكذوبة على رسول الله ﷺ ، ولقد سمعنا هذه الوصية المكذوبة مرات كثيرة منذ سنوات متعددة تنشر بين الناس فيما بين وقت وآخر ، وتروج بين الكثير من العامة ، وفي ألفاظها اختلاف ، وكاذبها يقول : إنه رأى النبي ﷺ في النوم فحمّله هذه الوصية ، وفي هذه النشرة الأخيرة التي ذكرناها لك أيها القارئ زعم المفتري فيها أنه رأى النبي ﷺ في حين تهيأ للنوم لا في النوم ، فالمعنى أنه رآه يقظة وزعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة هي من أوضح الكذب وأبين الباطل ، سأنبهك عليها قريباً في هذه الكلمة إن شاء الله ، ولقد

نبهت عليها في السنوات الماضية وبينت للناس أنها من أوضح الكذب وأبين الباطل ، فلما اطلعت على هذه النشرة الأخيرة ترددت في الكتابة عنها لظهور بطلانها وعظم جرأة مفتريها على الكذب ، وما كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة أو فطرة سليمة ، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من الناس ، وتداولوها بينهم وصدقها بعضهم ، فمن أجل ذلك رأيت أنه يتعين على أمثالي الكتابة عنها لبيان بطلانها، وأنها مفتراة على رسول الله ﷺ حتى لا يغتر بها أحد ، ومن تأملها من ذوي العلم والإيمان أو ذوي الفطرة السليمة والعقل الصحيح عرف أنها كذب وافتراء من وجوه كثيرة ، ولقد سألت بعض أقارب الشيخ المنسوبة إليه هذه الفرية ، عن هذه الوصية ، فأجابني بأنها مكذوبة على الشيخ أحمد وأنه لم يقلها أصلاً ، والشيخ أحمد المذكور قد مات من مدة ، ولو فرضنا أن الشيخ أحمد المذكور أو من هو أكبر منه زعم أنه رأى النبي ﷺ في النوم أو اليقظة ، وأوصاه بهذه الوصية لعلمنا يقيناً أنه كاذب ، أو أن الذي قال له ذلك شيطان وليس هو الرسول ﷺ لوجوه كثيرة ، منها :

أن الرسول ﷺ لا يُرى في اليقظة بعد وفاته ﷺ ، ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي ﷺ في اليقظة ، أو أنه يحضر المولد أو ما أشبه ذلك فقد غلط أقبح الغلط ، ولبس عليه غاية

التلبسي ، ووقع في خطأ عظيم ، وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم ؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون :١٦] ، فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا ، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذباً بيّناً ، أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح ، ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان .

الوجه الثاني : أن الرسول ﷺ لا يقول خلاف الحق لا في حياته ولا في وفاته ، وهذه الوصية تخالف شريعته مخالفة ظاهرة ، من وجوه كثيرة ـ كما يأتي ـ وهو ﷺ قد يُرى في النوم ، ومن رآه في المنام على صورته الشريفة فقد رآه لأن الشيطان لا يتمثل في صورته ، كما جاء بذلك الحديث الصحيح الشريف ، ولكن الشأن كل الشأن في إيمان الرائي وصدقه وعدالته وضبطه وديانته وأمانته ، وهل رأى النبي ﷺ في صورته أو في غيرها ، ولو جاء عن النبي ﷺ حديث قاله في حياته ، من غير طريق الثقات العدول الضابطين لم يعتمد عليه ولم يُحتج به ، أو جاء من طريق الثقات الضابطين ولكنه يخالف رواية من هو أحفظ منهم ، وأوثق

مخالفة لا يمكن معها الجمع بين الروايتين ، لكان أحدهما منسوخاً لا يُعمل به ، والثاني ناسخ يعمل به ، حيث أمكن ذلك بشروطه، وإذا لم يمكن ذلك ولم يمكن الجمع وجب أن تطرح رواية من هو أقل حفظاً وأدنى عدالة والحكم عليها بأنها شاذة لا يعمل بها ، فكيف بوصية لا يعرف صاحبها ، الذي نقلها عن رسول الله ﷺ ولا تعرف عدالته وأمانته ، فهي والحالة هذه حقيقة بأن تطرح ولا يلتفت إليها ، وإن لم يكن فيها شيء يخالف الشرع ، فكيف إذا كانت الوصية مشتملة على أمور كثيرة تدل على بطلانها وأنها مكذوبة على رسول الله ﷺ ومتضمنة لتشريع دين لم يأذن به الله، وقد قال النبي ﷺ : « من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » ، وقد قال مفتري هذه الوصية على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، وكذب عليه كذباً صريحاً خطيراً ، فما أحراه بهذا الوعيد العظيم وما أحقه به إن لم يبادر بالتوبة ، وينشر للناس أنه قد كذب هذه الوصية على رسول الله ﷺ ؛ لأن من نشر باطلاً بين الناس ونسبه إلى الدين لم تصح توبته منه إلا بإعلانها وإظهارها ، حتى يعلم الناس رجوعه عن كذبه ، وتكذيبه لنفسه ، لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ

وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة :١٥٩-١٦٠] ، فأوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن من كتم شيئاً من الحق ، لم تصح توبته من ذلك إلا بعد الإصلاح والتبيين ، والله سبحانه قد أكمل لعباده وأتم عليهم النعمة ببعث رسوله محمد ﷺ ، وما أوحى الله إليه من الشرع الكامل ولم يقبضه إليه إلا بعد الإكمال والتبيين كما قال عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة :٣] الآية .

ومفتري هذه الوصية قد جاء في القرن الرابع عشر يريد أن يلبّس على الناس دينهم ويشرع لهم ديناً جديداً يترتب عليه دخول الجنة لمن أخذ بتشريعه ، وحرمان الجنة ودخول النار لمن لم يأخذ بتشريعه ، ويريد أن يجعل هذه الوصية التي افتراها أعظم من القرآن وأفضل حيث افترى فيها : أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد ، أو من محل إلى محل بُني له قصر في الجنة ، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، وهذا من أقبح الكذب ومن أوضح الدلائل على كذب هذه الوصية ، وقلة حياء مفتريها وعظم جرأته على الكذب ؛ لأن من كتب القرآن الكريم وأرسله من بلد إلى بلد ، أو من محل إلى محل ، لم يحصل له هذا الفضل إذا لم يعمل بالقرآن الكريم ، فكيف يحصل لكاتب

هذه الفرية وناقلها من بلد إلى بلد ، ومن لم يكتب القرآن ولم يرسله من بلد إلى بلد ، لم يُحرم شفاعة النبي ﷺ إذا كان مؤمناً به، تابعاً لشريعته .

وهذه الفرية الواحدة في هذه الوصية ، تكفي وحدها للدلالة على بطلان وكذب ناشرها ، ووقاحته وغباوته وبعده عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ، وفي هذه الوصية سوى ما ذكر أمور أخرى كلها تدل على بطلانها وكذبها ، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها ، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال ، على أنه صادق لم يكن صادقاً ، ولم تكن صحيحة بل هي والله ثم والله من أعظم الكذب وأقبح الباطل ، ونحن نشهد الله سبحانه ومن حضرنا من الملائكة ، ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين ، شهادة نلقى بها ربنا عز وجل ، أن هذه الوصية كذب وافتراء على رسول الله ﷺ ، أخزى الله من كذبها وعامله بما يستحق ، ويدل على كذبها وبطلانها ، سوى ما تقدم أمور كثيرة :

الأول منها قوله فيها : (لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام) لأن هذا من علم الغيب ، والرسول ﷺ قد انقطع عنه الوحي بعد وفاته وهو في حياته لا يعلم الغيب فكيف بعد وفاته لقول الله سبحانه : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ

عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل :٦٥] ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « يُذاد رجال عن حوضي يوم القيامة فأقول : يا رب أصحابي أصحابي. فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة :١١٧] .

الثاني : من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية وأنها كذب قوله فيها : (من كتبها وكان فقيراً أغناه الله ، أو مديوناً قضى الله دينه ، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية) إلى آخره ، وهذا من أعظم الكذب وأوضح الدلائل على كذب مفتريها وقلة حيائه من الله ومن عباده ، لأن هذه الأمور الثلاثة لا تحصل بمجرد كتب القرآن الكريم فكيف تحصل لمن كتب هذه الوصية الباطلة ؟ وإنما يريد هذا الخبيث التلبيس على الناس وتعليقهم بهذه الوصية حتى يكتبوها ويتعلقوا بهذا الفضل المزعوم ، ويدعوا الأسباب التي شرعها الله لعباده ، وجعلها موصلة إلى الغنى وقضاء الدَّيْن ، ومغفرة الذنوب ، فنعوذ بالله من أسباب الخذلان وطاعة الهوى والشيطان .

الأمر الثالث : من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية ، قوله فيها : (ومن لم يكتبها من عباد الله اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة) وهذا أيضاً من أقبح الكذب ، ومن أبين الأدلة على بطلان هذه الوصية ، وكذب مفتريها ، كيف يجوز في عقل عاقل ، أن يكتب هذه الوصية التي جاء بها رجل مجهول في القرن الرابع عشر ، يفتريها على رسول الله ﷺ ويزعم أن من لم يكتبها يسودّ وجهه في الدنيا والآخرة ، ومن كتبها كان غنياً بعد الفقر وسليماً من الدّين بعد تراكمه عليه ، ومغفوراً له ما جناه من الذنوب !! سبحانك هذا بهتان عظيم ، وأن الأدلة والواقع يشهدان بكذب هذا المفتري ، وعظم جرأته على الله وقلة حيائه من الله ومن الناس، فهؤلاء أمم كثيرة لم يكتبوها فلم تسود وجوههم ، وههنا جمع غفير لا يحصيهم إلا الله قد كتبوها مرات كثيرة ، فلم يقضِ دينهم ، ولم يزل فقرهم ، فنعوذ بالله من زيغ القلوب ، ورين الذنوب ، وهذه صفات وجزاءات لم يأتِ بها الشرع الشريف لمن كتب أفضل كتاب وأعظمه وهو القرآن الكريم ، فكيف تحصل لمن كتب وصية مكذوبة مشتملة على أنواع من الباطل ، وجمل كثيرة ، من أنواع الكفر سبحان الله ما أحلمه على من اجترأ عليه بالكذب .

الأمر الرابع : من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل ، وأوضح الكذب قوله فيها : (ومن يصدق بها ينجو من

عذاب النار ، ومن كذب بها كفر) وهذا أيضاً من أعظم الجرأة على الكذب ومن أقبح الباطل ، يدعو هذا المفتري جميع الناس إلى أن يصدقوا بفريته ، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار، وأن من كذب بها يكفر ، لقد أعظم والله هذا الكذاب على الله الفرية ، وقال ـ والله ـ غير الحق ، إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافراً لا من كذب بها ؛ لأنها فرية وباطل وكذب لا أساس له من الصحة ، ونحن نشهد الله على أنها كذب، وأن مفتريها كذاب ، يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله ، ويدخل في دينهم ما ليس منه ، والله قد أكمل الدين وأتمه لهذه الأمة ، من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرناً . فانتبهوا أيها القراء والإخوان ، وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات ، وأن يكون لها رواج فيما بينكم فإن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه، فاطلبوا الحق بدليله ، واسألوا أهل العلم عما أشكل عليكم ، ولا تغتروا بحلف الكذابين ، فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم آدم وحواء على أنه لهما من الناصحين ، وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذابين ، كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف حيث قال سبحانه : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] فاحذروه واحذروا أتباعه من المفترين ، فكم له ولهم من الأيمان الكاذبة ، والعهود الغادرة والأقوال المزخرفة

للإغواء والتضليل ، عصمني الله وإياكم وسائر المسلمين من شر الشياطين، وفتن المضلين ، وزيغ الزائغين ، وتلبيس أعداء الله المبطلين ، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويلبسوا على الناس دينهم ، والله متم نوره ، وناصر دينه ، ولو كره أعداء الله من الشياطين وأتباعهم من الكفار والملحدين .

وأما ما ذكره هذا المفترى من ظهور المنكرات ، فهو أمر واقع ، والقرآن ، والكريم والسنة المطهرة قد حذرا منها غاية التحذير ، وفيهما الهداية والكفاية ، ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يمنّ عليهم باتباع الحق ، والاستقامة عليه ، والتوبة إلى الله سبحانه من سائر الذنوب ، فإنه التواب الرحيم والقادر على كل شيء .

وأما ما ذكر عن أشراط الساعة ، فقد أوضحت الأحاديث النبوية ما يكون من أشراط الساعة ، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك ، فمن أراد أن يعلم ذلك وجده في محله من كتب السنة ، ومؤلفات أهل العلم والإيمان ، وليس بالناس حاجة إلى بيان مثل هذا المفتري وتلبيسه ومزجه الحق بالباطل ، وحسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

الأحكام الملمة
على الدروس المهمة لعامة الأمة

تقديم وتعليق سماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

تأليف
عبدالعزيز بن داود الفايز
رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالزلفي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] . أما بعد :

فلما اطلعت على الرسالة الموسومة بالدروس المهمة لعامة الأمة لسماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء ، فكرت بشرحها لأهميتها لكل مسلم بعينه فهي رسالة إلى جميع الأمة من ذكر وأنثى وعالم ومتعلم ، فاستخرت الله ، وشاورت

بعض المشايخ الفضلاء فأيدوا الفكرة، فتحولت الفكرة بعد ذلك إلى عزيمة على الشروع في المهمة لتوضيح الدروس المهمة ، فاستأذنت شيخنا ووالدنا فأذن لي مشكوراً بذلك .

وهذه الرسالة على صغر حجمها جمعت بين دفتيها سائر العلوم الشرعية من أحكام الفقه الأكبر والفقه الأصغر ، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الأخلاق الشرعية والآداب الإسلامية ، وختم هذه الرسالة بالتحذير من الشرك وأنواع المعاصي ، فأتت الرسالة بما ينبغي أن يكون عليه المسلم عقيدة وعبادة وسلوكاً ومنهجاً ، فهذه الرسالة اسم على مسمى فهي بحق « الدروس المهمة لعامة الأمة » .

وقد وضعت شرحاً على هذه الرسالة ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ليكون عوناً بعد توفيق الله ومرجعاً سهلاً لمن أراد أن يشرحها من الأئمة في مسجده ، أو رب الأسرة في منزله ، أو طالب العلم في حيّه ، أو قريته ، وقد حرصت أن أقرن كل مسألة بدليلها ما أمكن ، وسميتها (الأحكام الملمة على الدروس المهمة ...) وقد علق عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بعض التعليقات ووضعت تحتها خطوطاً تمييزاً لها .

وفي الختام آمل من كل أخ كريم اطلع على هذا الكتاب أن لا

يبخل علينا بتوجيهاته وملاحظاته ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

هذا ، وأسأل الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن ينفع بالرسالة وشرحها ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم ، كما أسأله أن يجزل الأجر والمثوبة لمؤلف الرسالة ، وشارحها خير الجزاء ، وأن يجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبدالعزيز بن داود الفايز

الزلفي – في ٢١/ ٥/ ١٤١٥هـ .

الدرس الأول

سورة الفاتحة وما أمكن من قصار السوْر من سورة الزلزلة إلى سورة الناس تلقيناً وتصحيحاً للقراءة وتحفيظاً وشرحاً لما يجب فهمه .

ذكر العلامة الشيخ عبدالعزيز بن حفظه الله ونفع به الإسلام والمسلمين وأعظم له الأجر والمثوبة في الدرس الأول من الدروس المهمة لعامة الأمة أنه ينبغي على كل مسلم ـ كل على حسب طاقته ـ أن يتعلم سورة الفاتحة وما أمكن من قصار السور ؛ لأن تعلم قراءة الفاتحة واجب على كل مسلم بعينه ، لأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن المصطفى ﷺ ، و على معلم الناس هذه السورة أن يتبع الخطوات التالية :

أولاً : أن يلقنهم القراءة إن كانوا لا يعرفون القراءة ، وإن كانوا يعرفون القراءة فعليه أن ينتقل من هذه المرحلة إلى المرحلة الثانية وهي : تصحيح القراءة ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى المرحلة الثالثة وهي : تحفيظهم هذه السور ، ويكون التحفيظ بطرق منها :

أن يقرأ المعلم الآيات بتأنٍّ وترتيل ويطلب من الحاضرين أن

يرددوها معه حتى يحفظوها ، ثم بعد ذلك يشرح معنى الآيات شرحاً واضحاً حسب ما يفهم المخاطب ، ثم بعد ذلك يستنبط بعض الأحكام من الآيات التي قرأها . مثال ذلك من سورة الفاتحة يبين لهم أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة لقول الرسول ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[1] ، وكذلك يقول لهم : إن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته ، وأنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ ، وينفون ما نفاه الله عن نفسه ، وما نفاه عنه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ، وكذلك يخبرهم أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة .

ومن الأحكام التي في سورة الفاتحة التي ينبغي للمعلم أن يبينها: أن العبادة إذا خالطها شرك فسدت وبطلت ، وكذلك يبين لهم أنه ينبغي على المسلم أن يتذكر يوم الدين ، وأن عدم نسيان ذلك اليوم العظيم يساعد الإنسان على فعل الطاعات ، واجتناب المحرمات ، وهكذا يفعل في باقي السور ، تلقيناً وتصحيحاً للقراءة وتحفيظاً وشرحاً . والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي والإمام أحمد .

الدرس الثاني

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بشرح معانيها مع بيان شروط لا إله إلا الله ، ومعناها (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له .

ذكر المؤلف حفظه الله تعالى هذا الدرس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ولعلنا نتناول المراد على النحو التالي :

أولاً : مكانتهما : هاتان الشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام ، فقد روى عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً »[١] .

فكلمة التوحيد هي أساس الدين وحصنه الحصين وهي أول واجب على العبد ، وقبول جميع الأعمال متوقف على النطق بها والعمل بموجبها .

ثانياً : معناها : لا معبود بحق إلا الله ، ولا يجوز أن يقال : لا

---

(١) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي .

خالق إلا الله ، أو لا موجود ، أو لا رازق إلا الله ، لأمور منها :

أن كفار قريش كانوا لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله ومع ذلك لم ينفعهم ذلك ، وهم يفهمون معناها لذلك أنكروا على الرسول ﷺ عندما قال لهم قولوا لا إله إلا الله . ونحن نعجب في هذا الزمان ممن يقولون لا إله إلا الله معناها ويدعون مع الله غيره من الأولياء وأصحاب القبور ، ويقولون نحن موحدون ، والله المستعان.

ثالثاً : أركانها : لشهادة ركنان :

الأول : النفي قوله (لا إله) .

الثاني : الإثبات في قوله (إلا الله) .

فلا إله نفت الألوهية عن كل ما سوى الله ، و(إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له .

رابعاً : فضل لا إله إلا الله : فلها فضائل عظيمة ، ولها عند الله مكانة رفيعة من قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً حقنت دمه وأحرزت ماله في الدنيا والآخرة وحسابه على الله ـ عز وجل ـ وكان له حكم المنافقين ، وهي كلمة وجيزة اللفظ ، قليلة الحروف ، خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان .

ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة « كلمة الإخلاص » واستدل لكل

فضيلة، ومنها :

أنها ثمن الجنة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وهي نجاة من النار ، وهي توجب المغفرة ، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب ، وهي تخرق الحجب التي تصل إلى الله - عز وجل - ، وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، وهي أفضل ما قاله النبيّون ، وهي أفضل الذكر ، وهي أفضل الأعمال ، وأكثرها تضعيفاً ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان ، وهي أمانٌ من وحشة القبر وهول المحشر ، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم ، ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد وأن يخرجوا منها(١) .

خامساً : أن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الإيمان به . وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما عنه نهى وزجر ، وأن يعظم أمره ونهيه ، ولا يقدم عليه قول أحد كائناً من كان .

سادساً : ليعلم أن من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ،

---

(١) انظر رسالة الشيخ صالح الفوزان بعنوان : لا إله إلا الله .

كما روى ذلك عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ .

وأما شروط لا إله إلا الله فهي :

العلم المنافي للجهل ، واليقين المنافي للشك ، والإخلاص المنافي للشرك ، والصدق المنافي للكذب ، والمحبة المنافية للبغض ، والانقياد المنافي للترك ، والقبول المنافي للرد ، والكفر بما يعبد من دون الله .

ذكر العلماء أن لكلمة الإخلاص شروطاً سبعة ، وبعضهم يعدها ثمانية كما فعل المؤلف حفظه الله .

الأول : العلم : فإذا علم العبد أن الله ـ عز وجل ـ هو المعبود وحده وأن عبادة غيره باطلة ، وعمل بمقتضى ذلك فهو عالم بمعناها ، قال تعالى : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد :١٩] ، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف :٨٦] ، وقال رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[(١)] .

الثاني : اليقين : فيجب على من أتى بها أن يوقن بقلبه ويعتقد

(١) رواه مسلم وأحمد .

صحة ما يقول من أحقية إلهية الله تعالى ، وبطلان إلهية من عداه ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة :٤] ، وكما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من لقيت خلف هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها من قلبه فبشره بالجنة »(١) .

الثالث : القبول : أي يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦].

الرابع : الانقياد : وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة ، فهو الاستسلام والإذعان ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء : ١٢٥] ، وقال تعالى : ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان :٢٢] .

الخامس : الصدق : وذلك بأن يصدق مع الله في إيمانه ، صادقاً في عقيدته ، صادقاً في أقواله ، صادقاً في دعوته ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

---

(١) انظر : السلسلة الصحيحة للألباني ج٣ ، ص١٢٧ .

السادس : الإخلاص : وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته ليس فيها شائبة ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة :٥] ، وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه »(١) .

السابع : المحبة : وذلك بأن يحب هذه الكلمة وما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله ، ويقدم محبتهما على كل محبوب ، قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة :١٦٥] .

الثامن : الكفر بما يعبد من دون الله : كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »(٢) .

---

(١) رواه البخاري والإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام مسلم .

الدرس الثالث

أركان الإيمان : وهي : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

الدليل على ذلك حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »[(١)] .

أولاً : الإيمان بالله : يتضمن الإيمان بالله تعالى أربعة أمور :

أ- الإيمان بوجود الله تعالى : وقد دل على وجوده تعالى : الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس . أما دلالة الفطرة على وجوده فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ، كما قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه »[(٢)] .

أما دلالة العقل على وجود الله : فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها ؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها

---

(١) رواه مسلم وأبوداود والترمذي والإمام أحمد .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة .

وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى : فلأن جميع الكتب السماوية تنطق وتخبر بذلك ، وأعظمها وأفضلها القرآن الكريم ، وهكذا جميع الرسل وأفضلهم خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ ، كلهم أرشدوا إلى ذلك وبيّنوه .

وأما دلالة الحس على وجوده تعالى فمن وجهين :

أحدهما : أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى .

والوجه الثاني : أن آيات الأنبياء التي تسمى معجزات ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهانٌ قاطع على وجود خالق ومدبر ومتصرف بالكون وهو الله تعالى .

ب- الإيمان بربوبيته : أي بأنه وحده الرب لا شريك له ، ولا معين غيره ، والرب من له الخلق والملك والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ، قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف :٥٤] ، وقال سبحانه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر : ١٣] .

ج- الإيمان بألوهيته : أي بأنه وحده الإله الحق لا شريك له ، والإله بمعنى « المألوه » أي المعبود حباً وتعظيماً ، قال تعالى :

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة :١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف :٥٩] .

د- الإيمان بأسمائه وصفاته : أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] .

الثمرات التي يثمرها الإيمان بالله : منها :

١- تحقيق توحيد الله ، بحيث لا يتعلق القلب بغيره ، رجاءً ولا خوفاً ، ولا يعبد غيره .

٢- كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا .

٣- تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .

ثانياً : الإيمان بالملائكة :

أ- تعريف الملائكة : عالم غيبي مخلوقون من النور ، عابدون لله

تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأمره ، والقوة على تنفيذه ، وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى .

ب- يتضمن الإيمان بالملائكة أربعة أمور :

الأول : الإيمان بوجودهم .

الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه كجبريل ، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً .

الثالث : الإيمان بمن علمنا من صفاتهم .

الرابع : الإيمان بمن علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى ، مثل ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت .

ثالثاً : الإيمان بالكتب :

والمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة .

الأمور التي يقتضيها الإيمان بالكتب :

أولاً : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً .

ثانياً : الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام .

ثالثاً : تصدق وتسمع من أخبارها كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم

يبدل أويحرف من الكتب السابقة .

رابعاً : العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أو لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة :٤٨] .

ما يثمره الإيمان بالكتب :

أولاً : العلم بعناية الله بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم.

ثانياً : العلم بحكمة الله تعالى وشرعه ، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨].

رابعاً : الإيمان بالرسل :

والرسول هو من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه ، وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ـ عليهم الصلاة والسلام جميعاً ـ.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله من الرسل ليجددها ، قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ، والرسل بشر من بني آدم مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، وتلحقهم خصائص البشرية من الرحمة والموت والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك .

الأمور التي يتضمنها الإيمان بالرسل :

أولاً : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع ، قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء :١٠٥] .

ثانياً : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل : محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر : ٧٨] .

ثالثاً : تصدق ما صح عنهم من أخبارهم .

رابعاً : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ .

ثمرات الإيمان بالرسل :

أولاً : العلم برحمة الله تعالى وعنياته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم ، وليبيّنوا لهم كيف يعبدون الله .

ثانياً : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

ثالثاً : محبة الرسل ـ عليهم السلام ـ وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم ؛ لأنهم رسل الله تعالى وقاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده .

خامساً : الإيمان باليوم الآخر :

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث الله الناس فيه للحساب والجزاء ، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده .

ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر :

أولاً : الإيمان بالعبث ، والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

ثانياً : الإيمان بالحساب والجزاء ، فيحاسب العبد على عمله ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

ثالثاً : الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق .

ويلحق الإيمان باليوم الآخر بكل ما يكون بعد الموت مثل :

١- فتنة القبر .   ٢- عذاب القبر ونعيمه .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

أولاً : الرهبة من فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب الله في ذلك اليوم .

ثانياً : الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها ، لثواب ذلك اليوم.

ثالثاً : تسلية المؤمن عمّا يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

سادساً : الإيمان بالقدر :

القدر : تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

الأمور التي يقتضيها الإيمان بالقدر :

أولاً : الإيمان بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً ، أزلاً وأبداً ، سواءً كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال العباد .

ثانياً : الإيمان بأنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ (١) .

---

(١) وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى : ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ . الآية .
وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » .

ثالثاً : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص :٦٨] .

رابعاً : الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاته اوحركاتها كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر :٦٢] .

للإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها :

أولاً : الاعتماد على الله عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه ؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى .

ثانياً : أن لا يعجب الإنسان بنفسه عند حصول مراده ؛ لأن حصول نعمة من الله تعالى بما قدره من أسباب الخير والنجاح وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

ثالثاً : الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة كما قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد : ٢٢، ٢٣] الآية .

وقد ضل في القدر طائفتان :

الأولى : الجبرية الذين قالوا : إن العبد مجبر على عمله ، وليس له فيه إرادة ولا قدرة .

الثانية : القدرية الذين قالوا : إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أثر . وأنكروا أن يكون الله قدر الأشياء وعملها قبل وجودها ، وقول الطائفتين من أبطل الباطل [(١)] .

الدرس الرابع

أقسام التوحيد :

١- توحيد الألوهية ٢- توحيد الربوبية .

٣- توحيد الأسماء والصفات .

تعريف التوحيد : هو إفراد الله بالعبادة ، وأنواعه ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية : وهو العلم والاعتقاد بأن الله هو المتفرد بالخلق ، والرزق ، والتدبير ، وهذا النوع قد أقرّ به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام والدليل قوله تعالى : ﴿وَلَئِن

(١) انظر : شرح أصول الإيمان ، لسماحة الشيخ ابن عثيمين .

أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :٨٨].

الثاني : توحيد الأسماء والصفات : وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ، وهذا النوع قد أقر به بعض المشركين ، وأنكره بعضهم جهلاً أو عناداً .

الثالث : توحيد الألوهية : وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة : كالمحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والدعاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وهذا النوع هو الذي أنكره المشركون(١) .

أقسام الشرك ثلاثة :

١- شرك أكبر ٢- شرك أصغر ٣- شرك خفي .

فالشرك الأكبر يوجب : حبوط العمل ، والخلود في النار ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام :٨٨]، وقال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة : ١٧] .

---

(١) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد .

وأن من مات عليه فلن يغفر لـه ، والجنة عليه حرام ، كما قال تعـــالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، وقـال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

ومن أنواعه : دعـاء الأمـوات والأصـنام ، والاسـتغاثة بهـم ، والنذر لهم ، والذبح لهم ، ونحو ذلك .

أما الشرك الأصغر : فهو ما ثبـت بالنـصوص مـن الكتـاب أو السنة تسميته شركاً ، لكنه ليس من جنس الشرك الأكبر : كالرياء في بعض الأعمال ، والحلف بغير الله ، وقول مـا شـاء الله وشـاء فلان ، ونحو ذلك ؛ لقول النبي ﷺ :« أخوف مـا أخـاف علـيكم الشرك الأصغر » ، فسُئل عنه فقال : « الرياء » . رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنـه بإسناد جيد ، ورواه الطبراني بأسانيد جيدة عـن محمـود بـن لبيـد عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ .

وقولـه ﷺ : « من حلـف بـشيء دون الله فقـد أشـرك » رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، ورواه أبوداود والترمذي بإسناد صـحيح مـن حـديث ابـن عمـر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من حلف بغير الله فقد

كفر أو أشـرك » ، وقولـه ﷺ : « لا تقولـوا مـا شـاء الله وشـاء فلان، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان » أخرجه أبـوداود بإسناد صحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

وهذا النوع لا يوجـب الـردة ، ولا يوجـب الخلـود في النـار ، ولكنه ينافي كمال التوحيد .

أما النوع الثالث : وهو الشرك الخفي : فدليله قول الـنبي ﷺ : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الـدجال؟ » قالوا : بلى . قال : « الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيـصلي فيـزيّن صلاته ، لما يرى من نظر الرجل إليه » رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ويجوز أن يقسّم الشرك إلى نوعين فقط : أكبر وأصغر .

أما الشرك الخفي فإنه يعمهما ، فيقع في الأكبر كشرك المنافقين؛ لأنهم يخفون عقائدهم الباطلة ، ويتظاهرون بالإسلام رياءً وخوفاً على أنفسهم .

ويكون في الشرك الأصغر كالرياء كما في حديث محمود بن لبيد الأنصاري المتقدم وحديث أبي سعيد المذكور . والله ولي التوفيق.

* * *

الدرس الخامس

أركان الإسلام وهي خمسة :

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ٢- وإقام الصلاة . ٣- وإيتاء الزكاة . ٤- وصوم رمضان . ٥- وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً .

لما انتهى المؤلف حفظه الله تعالى من أقسام التوحيد وأقسام الشرك ، شرع في أركان الإسلام الخمسة ، فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أبوعبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[1] .

قوله : « بني الإسلام على خمس » أي خمس دعائم ، وفي رواية «بني الإسلام على خمسة » أي خمسة أركان ، فمثل الإسلام بالبنيان الذي لا يثبت إلى على خمس دعائم فلا بنيان بدونه ، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

قولـه : «شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسـول الله » أي الإيمان بالله ورسوله ، وفي روايـة لمسلم : « علـى خمـس : علـى أن توحّد الله عز وجل»، وفي رواية: «على أن توحد الله وتكفر بما دونه».

قولـه : « وإقام الصلاة » : في صحيح مسلم عن جـابر رضـي الله عنه قال : « بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الـصلاة » ، وفي حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «رأس الأمر الإسـلام، وعموده الصلاة »[1] ، وقال عبدالله بن شقيق : كان أصحاب رسـول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة.

قولـه : « وإيتاء الزكاة » هي الركن الثالث مـن أركـان الإسـلام، قـال تعـالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقـرة :٤٣] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة :٥] .

قولـه : «وصوم رمضان» هو الركن الرابع من أركان الإسـلام، قـال تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قولــه : « وحـج البيـت » هـذا الـركن الخـامس مـن أركـان الإسلام. قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وهذا الحديث أصل عظيم في معرفة دين الإسلام[١] .

الدرس السادس

شروط الصلاة وهي تسعة : الإسلام ، والعقل ، والتمييز ، ورفع الحدث ، وإزالة النجاسة ، وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية .

بعد أن ذكر المؤلف أركان الإسلام الخمسة في الدرس الخـامس ناسب أن يذكر هنـا شـروط الـصلاة ، لأن الـصلاة آكـد أركـان الإسلام بعد الشهادتين ولا تصح الـصلاة إلا بـشروط ، فناسـب ذكرها هنا .

فأول الشروط : الإسلام والعقل والتمييز فلا تصح من كـافر لبطلان عمله ، ولا مجنون لعـدم تكليفـه ، ولا مـن طفـل لمفهـوم الحديث : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع » الحديث .

(١) انظر : أركان الإسلام للشيخ عبدالله الجار الله رحمه الله ، ص٧-٨ .

الشرط الرابع : الطهارة مع القدرة لقوله ﷺ : « لا تقبل صلاة بغير طهور »[١] .

الشرط الخامس : دخول الوقت ، قال تعالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء :٧٨] ، وعن عمر رضي الله عنه : « الصلاة لها وقت شرطه الله لا تصح إلا به » ، وهو حديث جبريل حين أم النبي ﷺ بالصلوات الخمس ثم قال : « ما بين هذين وقت »[٢] .

الشرط السادس : ستر العورة مع القدرة بشيء لا يصف البشرة لقوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف : ٣٠]، وقوله ﷺ : «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» ، وحديث سلمة بن الأكوع قال : قلت : يا رسول الله : إني أكون في الصيد وأصلي في القميص الواحد قال : « نعم وأزروه ولو بشوكة » صححهما الترمذي . وحكى ابن عبدالبر الإجماع على فساد صلاة من صلى عرياناً وهو قادر على الاستتار.

الشرط السابع : اجتناب النجاسة لبدنه وثوبه وبقعته ، لقوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر :٤] ، وقوله ﷺ لأسماء في دم الحيض : «تحته

---

(١) رواه مسلم وأبوداود والترمذي .

(٢) رواه أحمد والنسائي .

ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه ثم تصلي فيه» متفق عليه .

الشرط الثامن : استقبال القبلة لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة :١٤٤] .

الشرط التاسع : النية ، لقول المصطفى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات »[(١)] .

وبهذا تمت شروط الصلاة ، والله أعلم[(٢)] .

الدرس السابع

أركان الصلاة ، أربعة عشرة وهي :

القيام مع القدرة ، وتكبير الإحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع، والاعتدال بعد الركوع ، والسجود على الأعضاء السبعة والرفع منه ، والجلسة بين السجدتين ، والطمأنينة في جميع الأفعال ، والترتيب بين الأركان ، والتشهد الأخير والجلوس له ، والصلاة على النبي ﷺ والتسليمتان .

بعد أن تكلم شيخنا ووالدنا ـ حفظه الله ـ عن شروط الصلاة

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) انظر : منار السبيل (١/ ٧٠-٧٩) .

في الدرس السابق ؛ لأن شروط الصلاة تتقدم الصلاة ، ناسب أن يذكر هنا الأركان لأنها تتزامن مع الصلاة نفسها .

فالركن الأول من أركان الصلاة : القيام مع القدرة ، لقوله تعالى : ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة :٢٣٨]، وقوله ﷺ في حديث عمران : «صل قائماً » وأجمع العلماء على ذلك .

الركن الثاني : تكبيرة الإحرام ، لقول النبي ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » . رواه الخمسة إلا النسائي .

وقال الترمذي : هو أصح شيء في هذا الباب ، ولقوله ﷺ للمسيء صلاته : « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر » متفق عليه .

الركن الثالث : قراءة الفاتحة ، لحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » رواه السبعة .

الركن الرابع : الركوع ، لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ﴾ [الحج : ٧٧] ، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء في صلاته فقد قال له رسول الله ﷺ : « ثم اركع حتى تطمئن راكعاً » .

الركن الخامس : الاعتدال قائماً بعد الركوع ، لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته : « ثم ارفع حتى تعتدل قائماً » . ولما رواه الخمسة عن أبي مسعود الأنصاري أنه ﷺ قال : « لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود » .

الركن السادس : السجود على الأعضاء السبعة ، لقوله ﷺ : « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة ، وأشار بيده على أنفه ، واليدين ، والركبتين ، وأطراف القدمين » متفق عليه .

الركن السابع : الجلوس بين السجدتين ، لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته : « ثم ارفع حتى تعتدل جالساً » . ولقول عائشة رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي قاعداً » رواه مسلم .

الركن الثامن : الاعتدال من السجود لقول النبي ﷺ للمسيء صلاته : « ثم ارفع حتى تطمئن جالساً » .

الركن التاسع : الطمأنينة في جميع الأفعال ، لقوله ﷺ للمسيء في صلاته : « ثم اركع حتى تطمئن راكعاً » ، وكان النبي ﷺ يطمئن في صلاته ويقول : « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري .

الركن العاشر : الترتيب بين الأركان .

الركنان الحادي عشر والثاني عشر : التشهد الأخير والجلوس له ، لقوله ﷺ : « إذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ...» إلخ الحديث متفق عليه .

الركن الثالث عشر : الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير لحديث كعب بن عجرة لما سألوه ﷺ عن كيفية الصلاة عليه ، قال: « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » رواه السبعة .

الركن الرابع عشر : الصلاة على النبي ﷺ والتسليمتان ؛ لقوله ﷺ : « وتحليلها التسليم » ، وقول عائشة رضي الله عنهما في صفة صلاة النبي ﷺ وكان يختم الصلاة بالتسليم ، فالتسليم شرع للتحليل من الصلاة فهو ختامها وعلامة انقضائها(١) .

---

(١) انظر : السلسبيل في معرفة الدليل ج١ ، ص١٤٦-١٤٨ ، وكتاب : نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب ج١-٢ ص١٦٦ . وكتاب : الملخص الفقهي ج١ ص٨٩-٩٢ .

الدرس الثامن

واجبات الصلاة وهي ثمانية :

جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام ، وقول سمع الله لمن حمده للإمام والمنفرد ، وقول : ربنا ولك الحمد للكل ، وقول : سبحان ربي العظيم في الركوع ، وقول سبحان ربي الأعلى في السجود ، وقول : رب اغفر لي بين السجدتين ، والتشهد الأول ، والجلوس له .

انتقل المؤلف في هذا الدرس إلى واجبات الصلاة بعد أن بين أركان الصلاة ، وقدم الأركان على الواجبات لأن الأركان آكد من الواجبات ؛ ولأن الواجب يجبره سجود السهو إذا تركه سهواً، أما الركن إذا ترك فإن الصلاة تبطل سواء كان سهواً أو عمداً .

فالواجب الأول من واجبات الصلاة : جميع التكبيرات ما عدا تكبيرة الإحرام فإنها ركن كما سبق لقول ابن مسعود : « رأيت النبي ﷺ يكبر في كل رفع وخفض وقيام وقعود » رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه .

الواجب الثاني : قول سمع الله لمن حمده للإمام والمنفرد ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يكبير حين يقوم إلى الصلاة ثم يكبر حين يركع ثم يقول : سمع الله لمن حمده

حين يرفع صلبه من الركعة ، ثم يقول وهو قائم : ربنا ولك الحمد » متفق عليه .

الواجب الثالث : قول ربنا ولك الحمد للكل ، كما تقدم .

الواجب الرابع والخامس : قول : سبحان ربي العظيم في الركوع ، وقول سبحان ربي الأعلى في السجود مرة واحدة ؛ لقول حذيفة في حديثه : كان ـ يعني النبي ﷺ ـ يقول في ركوعه : « سبحان ربي العظيم ، وفي سجوده : سبحان ربي الأعلى » رواه الخمسة وصححه الترمذي .

الواجب السادس : قول « رب اغفر لي » ، بين السجدتين ، لحديث حذيفة أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين : « رب اغفر لي ، رب اغفر لي » رواه النسائي وابن ماجه .

الواجب السابع : التشهد الأول ؛ لقول المصطفى ﷺ : « إذا قمت في صلاتك فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فإذا جلست في وسط صلاتك فاطمئن وافترش فخذك اليسرى ثم تشهد » رواه أبوداود .

الواجب الثامن : الجلوس للتشهد الأول ؛ لحديث ابن مسعود مرفوعاً : « إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا : التحيات لله » رواه أحمد والنسائي ، وأيضاً لما نسيه النبي ﷺ في صلاة الظهر سجد

سجدتين قبل أن يسلم مكان ما نسي من الجلوس[١] .

الدرس التاسع

بيان التشهد « التحيات » وهو :

التحيات لله والصلوات والطيبات والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

ثم يستعيذ بالله في التشهد الأخير من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ثم يتخير من الدعاء ما شاء ولا سيما المأثور من ذلك ، ومنه :

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : التفت إلينا

---

(١) انظر : منار السبيل ج١ ، ص٨٧-٨٩ .

رسول الله ﷺ فقال : « إذا صلى أحدكم فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». متفق عليه .

وحديث ابن مسعود هو أصح ما روي في التشهد .

وعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال : قال بشير بن سعد : يا رسول الله ، أمرنا الله أن نلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فسكت ، ثم قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . والسلام كما علمتم » . رواه مسلم .

وعن أبي هيرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » متفق عليه .

والحديث دليل على مشروعية الاستعاذة مما ذكر في هذا الموضع بعد الصلاة على النبي ﷺ .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعو به في صلاتي . قال : قل : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » . متفق عليه .

الحديث دليل على مشروعية الدعاء في الصلاة على الإطلاق ومن مواضعه بعد الشتهد والصلاة على النبي ﷺ والاستعاذ من الأربع لقوله في حديث ابن مسعود : « ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو » . وفيه دليل على جواز الدعاء في الصلاة بما ورد وبما لم يرد إذا لم يكن فيه ما هو ممنوع شرعاً . وفي لفظ : « ثم ليتخير من المسألة ما شاء »(١) .

الدرس العاشر

سنن الصلاة :

١- الاستفتاح .

٢- وجعل الكف اليمنى على اليسرى فوق الصدر حين القيام.

٣- رفع اليدين مضمومتي الأصابع حذو المنكبين أو الأذنين عند التكبير الأول ، وعند الركوع ، والرفع منه ، وعند القيام للتشهد الأول للثالثة .

(١) المجموعة الجليلة ص٧٩-٨٠ .

٤- ما زاد عن واحدة في تسبيح الركوع والسجود .

٥- ما زاد عن قوله بعد الرفع من الركوع : ربنا ولك الحمد .

٦- ما زاد عن واحدة في الدعاء بالمغفرة بين السجدتين .

٧- جعل الرأس حيال الظهر في الركوع .

٨- مجافاة العضدين عن الجنبين ، والبطن عن الفخذين في السجود .

٩- رفع الذراعين عن الأرض حين السجود .

١٠- جلوس المصلي على رجله اليسرى ونصب اليمنى في التشهد الأول وبين السجدتين .

١١- التورك في التشهد الأخير مع نصب اليمنى .

١٢- الصلاة والتبريك على محمد وآل محمد وعلى إبراهيم وآل إبراهيم في التشهد الأول .

١٣- الدعاء في التشهد الأخير .

١٤- الجهر بالقراءة في صلاة الفجر ، وفي الركعتين الأولين من صلاة المغرب والعشاء .

١٥- الإسرار بالقراءة في الظهر والعصر وفي الثالثة من المغرب والأخيرتين من العشاء .

١٦- قراءة ما زاد على الفاتحة من القرآن مع مراعاة بقية ما ورد من سنن الصلاة سوى ما ذكرنا .

تنقسم سنن الصلاة إلى نوعين :

النوع الأول : سنن الأقوال . النوع الثاني : سنن الأفعال .

وقد ذكرها المؤلف في المتن ، وهذه السنن لا يلزم المصلي أن يأتي بها ولكن إن فعلها أو بعضاً منها فله أجر ، ومن تركها أو ترك شيئاً منها فلا حرج عليه مثل سائر السنن ، ولكن ينبغي على المسلم أن يأتي بها وليتذكر قول المصطفى ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » . والله تعالى أعلم .

الدرس الحادي عشر

مبطلات الصلاة وهي ثمانية :

١- الكلام العمد مع الذكر، والعلم ، أما الناسي والجاهل فلا تبطل صلاته بذلك . ٢- الضحك . ٣- الأكل. ٤- الشرب . ٥- انكشاف العورة . ٦- الانحراف الكثير عن جهة القبلة . ٧- العبث الكثير المتوالي في الصلاة . ٨- انتقاض الطهارة .

بعدما انتهى المؤلف من ذكر شروط الصلاة وأركانها ،

وواجباتها وسنن الصلاة القولية والفعلية شرع في مبطلات الصلاة ليكون المسلم على حذر من إبطال صلاته بفعل أحد المبطلات الثمانية وهي على النحو التالي :

أولاً : الكلام العمد مع الذكر والعلم ، أما الناسي والجاهل فلا تبطل صلاته لما روي عن زيد بن الأرقم قوله : « فأمرنا بالسكوت ، ونهينا عن الكلام »[١] .

ثانياً : الضحك ، قال ابن المنذر : « أجمعوا على أن الضحك يفسد الصلاة » .

ثالثاً ورابعاً : الأكل والشرب ، قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه أن من أكل أو شرب في الفرض عامداً أن عليه الإعادة.

خامساً : انكشاف العورة ؛ لأن من شروط الصلاة ستر العورة فإذا عدم الشرط بطلت المشروط وهو الصلاة .

سادساً : الانحراف الكثير عن جهة القبلة ؛ لأن من شروط الصلاة استقبال القبلة كما تقدم .

سابعاً : العبث الكثير المتوالي في الصلاة ، فإن كثر متوالياً أبطل الصلاة إجماعاً . قاله في الكافي ، قال : وإن قل لم يبطلها ؛ لحمله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

ﷺ أمامة في صلاته ، إذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها ، وتقدم وتأخر في صلاة الكسوف .

ثامناً : انتقاض الطهارة ؛ لأنها شرط لصحة الصلاة ، فإذا انتقض الوضوء انتقضت الصلاة .

الدرس الثاني عشر

شروط الوضوء وهي عشرة :

الإسلام ، والعقل ، والتمييز ، والنية ، واستصحاب حكمها بأن لا ينوي قطعها حتى تتم طهارته ، وانقطاع موجب الوضوء ، واستنجاء أو استجمار قبله ، وطهورية ماء وإباحته ، وإزالة ما يمنع وصوله إلى البشرة ، ودخول وقت الصلاة في حق من حدثه دائم .

شروط الوضوء : الإسلام ، والعقل ، وا لتمييز ، والنية ، فلا يصح الوضوء من كافر ؛ لأنه لا يقبل منه حتى يسلم ، ولا من مجنون لأنه غير مكلف ، ولا من صغير لا يميزه ، ولا ممن لم ينوِ الوضوء ، بأن نتوضأ تبرداً أو غسل أعضاء ليزيل عنها نجاسة أو دسماً .

ويشترط للوضوء أيضاً أن يكون الماء طهوراً فإن كان نجساً لم يجزئه ، ويشترط للوضوء أن يكون الماء مباحاً ، فإن كان مغصوباً، أو تحصل عليه بغير طريق شرعي لم يصح الوضوء به ، ويشترط

للوضوء أيضاً : أن يسبقه استنجاء أو استجمار وذلك بعد قضاء الحاجة ، وكذلك يشترط إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البدن ، فلابد للمتوضئ أن يزيل ما على أعضاء الوضوء من طين أو عجين أو شمع أو أصباغ سميكة ليجري الماء على جلد العضو مباشرة من غير حائل[(١)] .

وكذلك يشترط دخول وقت الصلاة في حق من حدثه دائم لأمره ﷺ للمستحاضة أن تتوضأ لكل صلاة ، والله أعلم .

الدرس الثالث عشر

فروض الوضوء وهي ستة :

غسل الوجه ومنه : المضمضة والاستنشاق ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ومنه : الأذنان ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب والموالاة .

فروض الوضوء :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾

(١) انظر : الملخص الفقهي ج١ ، ص٣١ .

[المائدة :٦] .

الفرض الأول : غسل الوجه ، والفم منه قال تعالى : ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ والدليل على وجوب المضممة والاستنشاق أنهما من الوجه ، وكذلك أن كل من وصف وضوء النبي ﷺ يذكر منه المضمضة والاستنشاق ، وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماءً ثم لينشره »(١) .

الثاني من فروض الوضوء : غسل اليدين لقوله تعالى : ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي مع المرفق ، فيجب غسل المرافق لأن النبي ﷺ كان يغسل مرافقه في الوضوء .

الثالث : مسح الرأس كله ومنه الأذنان لقوله تعالى : ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ وقال ﷺ : « الأذنان من الرأس » ؛ ولأن النبي ﷺ كان يمسح رأسه وأذنيه في الوضوء .

الرابع : غسل الرجلين مع الكعبين لقوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ .

---

(١) رواه مسلم وأبوداود والإمام أحمد .

الخامس : الترتيب ؛ لأن الله ذكرها مرتباً وأدخل ممسوحاً بين مغسولين وقطع النظير عن نظيره والفائدة هنا هي الترتيب ، والنبي ﷺ رتب الوضوء على هذه الكيفية وهو بقوله وعمله المفسر لكتاب الله .

السادس : الموالاة : وهي : أن لا يؤخر غسل عضو حتى ينشف الذي قبله ، والدليل على أن الرسول ﷺ هو المشرّع والمبين لأمته أحكام دينها وكل من وصف وضوء الرسول وصفه متواليا[(١)] .

الدرس الرابع عشر

نواقض الوضوء وهي ستة :

الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش النجس من الجسد ، وزوال العقل بنوم أو غيره ، ومس الفرج باليد قبلاً كان أو دبراً من غير حائل ، وأكل لحم الإبل ، والردة عن الإسلام أعاذنا الله والمسلمين من ذلك .

تكلم المؤلف في الدرس السابق عن الوضوء ، وأراد أن يبين

---

(١) انظر : السلسبيل ج١ ، ص٥١-٥٣ ، وكذلك الملخص الفقهي ج١ ، ص٣٢-٣٣ .

هنا الأشياء التي تنقضه ليكون المسلم على بصيرة من أمر دينه فذكر لنا أن نواقض الوضوء هي :

الأول : الخارج من السبيلين : قليلاً كان أو كثيراً وهو نوعان :

أ- معتاد كالبول والغائط فينتقض بغير خلاف . قاله ابن عبدالبر ، قال تعالى : ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة:٦] .

ب- نادر كالدود والشعر والحصى فينتقض لقول النبي ﷺ للمستحاضة : « توضئي لكل صلاة »[١] ودمها غير معتاد، ولأنه خارج من السبيلين ، فأشبه المعتاد .

الثاني : الخارج الفاحش النجس من الجسد ، وهذا ينقض كثيره ، أما اليسير منه فلا ينقض الوضوء مثل الدم إذا فحش فإنه ينقض ، وإن كان يسيراً فلا ينقض لقول ابن عباس في الدم «إذا كان فاحشاً فعليه الإعادة » وابن عمر عصر بثرة فخرج دم فصلى ولم يتوضأ ولم يعرف لهما مخالف من الصحابة فكان إجماعاً .

الثلث : زوال العقل بنوم أو غيره كالجنون والإغماء أو السكر، لقول النبي ﷺ : « العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ »[٢] ،

---

(١) رواه أبوداود وابن ماجه والإمام أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في الإرواء ج١ ، ص١٤٦ .

(٢) رواه أبوداود وابن ماجه والحاكم والدارقطني وحسنه الألباني في الإرواء ج١ ص١٤٨ .

والإغماء والجنون والسكر أبلغ في زوال العقل فهي تنقض الوضوء من باب أولى .

الرابع : مس الفرج باليد قبلاً كان أو دبراً من غير حائل ؛ لقوله ﷺ : « من مسّ فرجه فليتوضأ »(١) .

الخامس : أكل لحم الجزور ؛ لما روي عن جابر بن سمرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أأتوضأ من لحوم الإبل ؟ قال : نعم ، توضأ من لحوم الإبل »(٢) .

السادس : الردة عن الإسلام أعاذنا الله من ذلك ؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر :٦٥](٣) .

تنبيه هام :

أما غسل الميت ، فالصحيح أنه لا ينقض الوضوء ، وهو قول أكثر أهل العلم لعدم الدليل على ذلك ، لكن لو أصابت يد الغاسل فرج الميت من غير حائل وجب عليه الوضوء .

والواجب عليه أن لا يلمس فرج الميت إلا من وراء حائل.

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه والإمام أحمد ، وصححه الألباني في الإرواء ج١ ، ص١٥٠ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) العدة شرح العمدة ص٥٣-٥٧ .

وهكذا مس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقاً سواء كان ذلك عن شهوة أو غير شهوة في أصح قولي العلماء ، ما لم يخرج منه شيء، لأن النبي ﷺ قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ .

أما قول الله سبحانه في آيتي النساء : ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [المائدة :٦] فالمراد به الجماع في الأصح من قولي العلماء ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وجماعة .

أما مسألة غسل الميت ومس المرأة فقد بين شيخنا في المتن كلام أهل العلم ، ورجّح حفظه الله عدم النقض في المسألتين، والله أعلم .

الدرسان الخامس والسادس عشر

الخامس عشر :

الأخلاق المشروعة لكل مسلم ، ومنها :

الصدق ، والأمانة ، والعفاف ، والحياء ، والشجاعة ، والكرم، والوفاء ، و النزاهة عن كل ما حرم الله ، وحسن الجوار ، ومساعدة ذوي الحاجة حسب الطاقة ، وغير ذلك من الأخلاق التي دل الكتاب أو السنة على مشروعيتها .

السادس عشر :

الأداب الإسلامية ، ومنها : السلام ، والبشاشة ، والأكل باليمين ، والشرب بها . والآداب الشرعية عند دخول المسجد أو

المنزل والخروج منهما ، وعند السفر ، والإحسان مع الوالدين، والأقارب ، والجيران ، والكبار ، والصغار ، والتهنئة بالمولود ، والتعزية في المصاب ، وغير ذلك من الآداب الإسلامية .

بعد أن بين المؤلف حفظه الله أحكام الفقه الأكبر والفقه الأصغر في الدروس السابقة أراد أن يبين لعامة الأمة بعض الأخلاق المشروعة لكل مسلم ، والآداب الإسلامية ، فعليك أخي المسلم وفقنا الله وإياك لكل خير أن تعمل بها لتضرب للناس أروع الأمثال وأحسنها بتلك الأخلاق الرفيعة والآداب الرائعة النبيلة ، وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة بالحث على التمسك بها ولولا خشية الإطالة لذكرتها .

وليكن قدوتك بتطبيقها رسول الله ﷺ ، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلقه فقالت : « كان خلقه القرآن » ، صلوات ربي وسلامه عليه ، فقد عرف بالصدق والأمانة والشجاعة والكرم والنزاعة عن كل ما حرم الله سبحانه وتعالى ، وسار على نهجه صحابته الكرام ، رضي الله عنهم جميعاً ، ولقد انتشر الإسلام في أرجاء المعمورة في بداية الأمر بتعامل تجار المسلمين مع غيرهم ، فهم صادقون وأمناء ، فأملي بالله ثم بك أخي المسلم أن تكون ممن يتصف بهذه الصفات الحميدة ، عليك بالصدق بالقول

والعمل والأمانة فيما تأتي وتذر ، والعفاف والكفاف بما في يدك ، ذو حياء وأدب وشجاعة ووفاء وكرم ، ونزاهة وسلامة ، وأحسن إلى جارك فحقوقه كبيرة ، وساعد صاحب الحاجة ، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، سلّم على من عرفت ومن لم تعرف ، فهذا من السنة ، يورث المحبة ويدفع الوحشة والفرقة ، كن بشوشاً بوجه إخوانك المسلمين ، فهذا من الصدقة ، افعل ما أرشد إليه الرسول ﷺ من الأكل باليمين والشرب بها ، والتزم السنة بتقديم رجلك اليمنى بدخول المسجد ، وقول الدعاء المأثور، واليسرى بالخروج ، حافظ على دعاء دخول المنزل والخروج منه ، تحفظ بحفظ الله وترعى برعايته ، لا تنس دعاء السفر عند سفرك ، أحسن إلى والديك ، وعاملهما بالمعروف ، واعلم أن حقهما عليك عظيم دل عليه الكتاب والسنة ، ولا تتهاون بذلك فتندم ولات ساعة مندم ، ، ولا تنس الإحسان إلى الأقارب والجيران ، الكبار والصغار فهو توجيه إلهي ونبوي ، قال سبحانه : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقال النبي ﷺ : «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» ، وقال ﷺ لمعاذ : « اتق الله حيثما كنت وأتبع الحسنة السيئة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» ، وقال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

هنئ بالمولود ، وادع بما ورد بذلك ، عزِّ إخوانك المصابين تؤجر على ذلك ، وتنال مثل أجورهم ، والتزم بسائر الآداب الإسلامية ، وتجنب الأخلاق الرذيلة ، جعلنا الله وإياك ممن يلتزم بالأخلاق الشرعية ، والآداب الإسلامية ويتجنب الأخلاق المذمومة ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس السابع عشر

التحذير من الشرك وأنواع المعاصي ، ومنها :

السبع الموبقات (المهلكات) وهي : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

ومنها : عقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، وشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وإيذاء الجار ، وظلم الناس في : الدماء والأموال والأعراض، وغير ذلك مما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ .

لما انتهى المؤلف من ذكر بعض الأخلاق المشروعة لكل مسلم ، والآداب الإسلامية أراد أن يبين في هذا الدرس خطر الشرك

والتحذير منه ومن جميع المعاصي ، ومنها السبع الموبقات ليحذر الأمة من الوقوع فيها أو بشيء منها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هي ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[(١)] .

ومعنى اجتنبوا : ابتعدوا ، والموبقات : المهلكات ، وسميت موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب ، وتقدم الحديث عن الشرك في الدرس الرابع ، فليراجع .

أما السحر فهو : عزائم ورُقى ، وأعمال تؤثر في القلوب والأبدان ، ومنها ما يمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ومنه ما يكون تخييلاً على أعين الناس ولاحقيقة له كما قال الله سبحانه في سورة طه : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه : ٦٥-٦٦] ، وهو محرم ؛ لأنه كفر بالله ، ومنافٍ للإيمان والتوحيد،

---

(١) متفق عليه .

قال تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وحد الساحر القتل ، وكل ما ورد بنص هذا الحديث وما ذكره الشيخ بعد السبع الموبقات فهو محرم بنص الكتاب والسنة .

فيجب على المسلم أن يتجنبه بالكلية ، وإن وقع بشيء منه فعليه الإقلاع والندم ، والعزم على أن لا يعود إليه مرة ثانية ولا إلى غيره من سائر الذنوب والمعاصي ، وينهى من تحت يده عن ذلك ، ويحذر إخوانه المسلمين من الوقوع فيه ويبين خطرها على الدين ؛ لأن هذا من التعاون على البر والتقوى ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوى إلى الله ، وهذه هي طريقة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف : ١٠٨] الآية .

أعاذنا الله وإياكم وجميع المسلمين من سائر الذنوب والمعاصي وثبتنا بقوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إن ربي سميع مجيب الدعوات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الثامن عشر

تجهيز الميت والصلاة عليه ، وإليك تفصيل ذلك :

تجهيز الميت :

١- إذا تيقن موته ، أغمضت عيناه وشد لحياه .

٢- عند غسل الميت : تستر عورته ، ثم يرفع قليلاً ويعصر بطنه عصراً رقيقاً ، ثم يلف الغاسل على يده خرقة أو نحوها فينجيه بها ، ثم يوضئه وضوء الصلاة ، ثم يغسل رأسه ولحيته بماء وسدر أو نحوه ، ثم يغسل شقه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم يغسله كذلك مرة ثانية ، وثالثة ، يمر في كل مرة يده على بطنه برفق ، فإن خرج منه شيء غسله ، وسد المحل بقطن ، أو نحوه ، فإن لم يستمسك فبطين حر أو بوسائل الطب الحديثة كاللزق ونحوه .

ويعيد وضوءه فإن لم ينق بثلاث غسلات زيد إلى خمس ، أو سبع ، ثم ينشف بثوب ، ويجعل الطيب في مغابنه ، ومواضع سجوده ، وإن طيبه كله كان حسناً ، ويجمر أكفانه بالبخور ، وإن كان شاربه أو أظافره طويلة أخذ منها ، ولا يسرح شعره ، والمرأة يضفر شعرها ثلاثة قرون ، ويسدل من ورائها .

٣- تكفين الميت : الأفضل أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ، ولا عمامة ، يدرج فيها إدرجاً ، وإن

كفن في قميص وإزار ولفافة فلا بأس ، والمرأة تُكفن في خمسة أثواب : في درع ، وخمار ، وإزار ، ولفافتين ، ويكفن الصبي في ثوب واحد إلى ثلاثة أثواب ، وتكفن الطفلة الصغيرة في قميص ولفافتين .

٤- أحق الناس بغسله والصلاة عليه ودفنه وصيه في ذلك ، ثم الأب ، ثم الجد ، ثم الأقرب فالأقرب من العصبات .

والأولى بغسل المرأة : وصيتها ، ثم الأم ، ثم الجدة ، ثم الأقرب فالأقرب من نسائها .

وللزوجين أن يغسل أحدهما الآخر ، لأن الصديق رضي الله عنه غسلته زوجته ، ولأن علياً رضي الله عنه غسّل فاطمة رضي الله عنها .

٥- صفة الصلاة على الميت : يكبر ويقرأ بعد الأولى الفاتحة ، وإن قرأ معها سورة قصيرة أو آية أو آيتين فحسن ، للحديث الوارد في ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي ﷺ كصلاته في التشهد ، ثم يكبر الثالثة ويقول (اللهم اغفر لحيّنا وميّتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف

عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ، وعذاب بالنار ، وافسح له في قبره ونور له فيه ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده) ثم يكبر الرابعة ، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه .

ويستحب أن يرفع يديه مع كل تكبيرة ، وإذا كان الميت امرأة يقال : (اللهم اغفر لها) ، وإذا كانت الجنائز اثنتين يقال : (اللهم اغفر لهما) ، وبالجمع إن كانت أكثر ، أما إذا كان فرطاً فيقال بدلاً من الدعاء له بالمغفرة : (اللهم اجعله فرطاً وذخراً لوالديه، وشفيعاً مجاباً ، اللهم ثقّل به موازينهما ، وأعظم به أجورهما ، وألحقه بصالح المؤمنين ، واجعله في كفالة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم) .

والسنة أن يقف الإمام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة ، وأن يكون الرجل مما يلي الإمام إذا اجتمعت الجنائز ، والمرأة مما يلي القبلة ، وإن كان معهم أطفال قدم الصبي على المرأة ، ثم المرأة ، ثم الطفلة ، ويكون رأس الصبي حيال رأس الرجل ، ووسط المرأة حيال رأس الرجل ، وهكذا يكون رأسها حيال رأس المرأة ويكون

وسطها حيال رأس الرجل ، ويكون المصلون جميعاً خلف الإمام إلا أن يكون واحداً لم يجد مكاناً خلف الإمام فإنه يقف عن يمينه .

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

اعترافات ..

كنت قبورياً

للأستاذ

عبدالمنعم الجداوي

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الموحدين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه حلقات طيبة تروي قصة هداية رجل عاش فترة مظلمة ، بعيداً عن التوحيد ، يسير في دياجير الخرافة ، يتبرك بالقبور ، ويتمسح بها ويطوف ، ثم أنعم الله عليه بالهداية إلى النور ، نور التوحيد ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ثم كتب هذه الحلقات يروي قصته علّها تنير لغيره نفس الطريق الذي سلكه .

ولقد كتبت هذه الحلقات في مجلة التوعية الإسلامية التي تصدرها هيئة التوعية الإسلامية بالحج ، وقد رأت الهيئة أن تنشر في كتاب ليطّلع عليها المسلمون ؛ نظراً لما أحدثته هذه الحلقات المباركة الشيّقة في نفوس الكثيرين من التذكرة والتبصرة والاتعاظ؛ لسلاسة أسلوب كاتبها الفاضل الأستاذ عبدالمنعم الجداوي المحرر بدار الهلال الذي تأثر بدعوة السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فاهتدى إلى طريق الحق والصواب ، ويدعو غيره إليه بالحكمة والموعظة الحسنة .

والرئاسة وهي تحمل لواء التوحيد تحافظ عليه بكل ما آتاها الله من قوة ، وما حباها من عزيمة وثبات ، وتدعو إليه على بصيرة ثابتة ؛ تقدم هذه الحلقات للناس أجمعين ، لكي يعرفوا طريق الهدى والنور فيتبعوه ، ويعرفوا طريق الزيغ والضلال فيجتنبوه.

والله الهادي إلى سواء السبيل ، هو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الناشر

(الخرافة) عجوز متصابية تتعلق بصاحبها .
(التوحيد) يهدم أولاً .. ثم يبني من جديد !
ليس سهلاً أن يتراجع (القبوري) ..!
(التوحيد) يحتاج إلى إرادة واعية ..!!

* * *

ترددت كثيرا في كتابة هذه الاعترافات لأكثر من سبب .. ثم أقدمت على كتابتها لأكثر من سبب. وأسباب الإقدام والإحجام واحدة! فقد خشيت أن يقرأ العنوان بعض القراء ثم يقولون: مالنا ولتخريف أحد معظمي القبور؟! ولكن قد يكون بعض القراء في المنطقة النفسية التي كنت أعيش فيها قبل تصحيح عقيدتي.. فيقرؤن اعترافاتي فيفهمون ، ويعبرون من ظلمة الخرافات إلى نور العقيدة، وفي ذلك وحده ما يقويني على الكشف عن ذاتي أمام الناس، وما دام ذلك سوف يكون سبباً في هداية بعضهم إلى حقيقة التوحيد.

لقد كنت من كبار معظمي القبور، فلا أكاد أزور أي مدينة بها قبر أو ضريح لشيخ عظيم .. إلا وأهرع فورا للطواف به، سواء كنت أعرف كراماته أو لا أعرفها ! أحياناً اخترع لهم كرامات ، أو

أتصورها أو أتخيلها ! فإذا نجح ابني هذا العام ، كان ذلك للمبلغ الكبير الذي دفعته في صندوق النذور ! وإذا شفيت زوجتي، كان ذلك للسمنة التي كان عليها الخروف الذي ذبحته للشيخ العظيم فلان ولي الله!

وحينما التقيت بالدكتور جميل غازي وكان اللقاء لعمل مجلة إسلامية تقوم بالإعلام والنشر عن جمعية العزيز بالله القاهرية ـ والتي تضم مساجد أخرى ـ ورسالتها الأولى « التوحيد » وتصحيح العقيدة، وبحكم اللقاءات المتكررة كان لا بد من صلاة الجمعة في مسجد العزيز بالله. وهاجم الدكتور جميل في بساطة وبعقلانية شديدة هذا المنحنى المخيف في العقيدة وسماه شركا بالله، وذلك لأن العبد في غفلة من عقله يطلب المدد والعون من مخلوق ميت!..

أفزعني الهجوم .. وأفزعتني الحقيقة .. وما أفزع الحقيقة للغافلين ! ولو أن الدكتور اكتفى بذلك لهان الأمر، لكنه في كل مرة يخطب لا بد أن يمس الموضوع بإصرار . فالضريح لا يضم سوى عبد ميت فقط .. بل قد يكون أحياناً خاليا حتى من العظام التي لا تنفع ولا تضر!

في أول الأمر اهتززت.. فقدتُ توازني ..! كنت أعود إلى بيتي

بعد صلاة كل جمعة حزيناً ، شيئ ملا يجثم فوق صدري.. يقيد أحاسيسي ومشاعري.. أحاول في مشقة أن أخرج عن هذا الخاطر. هل كنت في ضلالة طوال هذه الأعوام؟! أم أن صديقي الدكتور قد بالغ في الأمر؟! فأنا أعتقد أن كل من نطق بالشهادة لا يمكن أن يكون كافرا لهفوة من الهفوات أو زلة من الزلات. شيئ آخر أشعل في فؤادي لهبا يأكل طمأنينتي في بطء. إن الدكتور يضعني في مواجهة صريحة ضد أصحاب الأضرحة الأولياء والخطباء على المنابر .. صباح مساء يعلنونها صريحة : إن الذي يؤذي ولياً فهو في حرب مع الله تعالى. وهناك حديث صحيح في هذا المعنى. وأنا لا أريد أن أدخل في حرب ضد أصحاب القبور والأضرحة لأنني أعوذ بالله من أن أدخل في حرب معه جل جلاله.

وقلت إن أسلم وسيلة للدفاع هي الهجوم ! واستعدت قراءة بعض الصفحات من كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) وصفحات أخرى من كتاب (لطائف المنن) لابن عطاء الأسكندري وحفظت عن ظهر قلب الكرامات وأسماء أصحابها ومناسبات وقوعها وذهبت الجمعة الثانية وكظمت غيظي وأنا استمع إلى الدكتور، فلما انتهى من الدرس أصر على أن يدعون لتناول طعام الغداء، وبعد الغداء تسلمته هجوما بلا هوادة، معتمداً على

عاملين. الأول هو أنني حفظت كمية لا بأس بها من الكرامات، والثانية أنني على ثقة من أنه لا يتهور فيداعبني بكفيه الغليظتين، لأنني في بيته ! وتناولت طعامه فأمنت غضبه. وقلت له : (والآتي هو المعنى وليس نص الحوار): إن الأولياء لا يدرك درجاتهم إلا من كان على درجتهم من الصفاء والشفافية، وإنهم رجال أخلصوا لله فجعل لهم دون الناس ما خصهم به من آيات ، .. وأن .. وأن .. وأن... وانتظر الدكتور حتى انتهيت من هجومي، وأحسست أنه لن يجد ما يقوله، وإذا به يقول: هل تعتقد أن أي شيخ منهم كان أكرم على الله من رسوله؟ قلت مذهولا: لا! إذن كيف يمشي بعضهم على الماء ؟! أو يطير في الهواء ؟ أو يقطف ثمار الجنة وهو على الأرض ورسول الله لم يفعل ذلك؟! كان يمكن أن يكون ذلك كافياً لإقناعي أو تراجعي، لكنه التعصب، قاتله الله! كبر علي أن أسلّم بهذه البساطة ! كيف ألقي ثقافة إسلامية عمرها في حياتي أكثر من ثلاثين عاماً ؟! قد تكون مغلوطة؟ غير أني فهمتها على أنها الحقيقة ولا حقيقة سواها! وعدت أقرأ من جديد في الكتب التي تملأ مكتبتي. وأعود إلى الدكتور ويستمر الحوار بيننا إلى ساعة متأخرة من الليل، فقد كنت من كبار عشاق الصوفية. لماذا؟ لأني أحب أشعارهم وأحب موسيقاهم وألحانهم التي هي مزيج من التراث الشعبي وخليط من

ألحان قديمة متنوعة، شرقية وفارسية ومملوكية وطبلة إفريقية أحياناً تدق وحدها! أو ناي مصري حزين ينفرد بالأنين مع بعض أشعارهم التي تتحدث عن لقاء الحبيب بمحبوبه وقت السحر. لهذا ولأسباب أخرى أحببت الصوفية. وكنت أعشقها وأحفظ عن ظهر قلب الكثير من شعر أقطابها، لا سيما ابن الفارض. وكل حجتي التي أبسطها في معارضة الدكتور أنه وأمثاله من الذين يدعو إلى التوحيد لا يريدون للدين روحاً ، وإنما يجردونه من الخيال، وأنهم لا بد أن يصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب الكرامات، لكي يدركوا ما هي الكرامات. فلن يعرف الموج إلا من شاهد البحر، ولا يعرف العشق إلا من كابد الحب. وهذا أسلوب صوفي أيضا في الاستدلال. ولهم بيت شهير في هذا المعنى. وحتى لا يضطرب وجداني وتتمزق مشاعري حاولت أن أنقطع عن لقاء الدكتور، ولكنه لم يتركني.

فوجئت به يدق جرس الباب ، ولم أصدق عيني .. كان هو .. قد جاء يسأل عني .. وتكلمنا كالعادة كثيراً وطويلاً .. فلما سألني عن سبب عدم حضوري لصلاة الجمعة معه .. قلت له بصراحة :

لقد يئست منك ! .

قال : ولكني لم أيأس منك .. أنت فيك خير كثير للعقيدة .

قلتُ : إنه يستدرجني على طريقته ، ولمحت معه كتاباً من وضعه عن سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

فقلت لـه : أعطني هذه النسخة .. هل يمكن ذلك..؟

قال : هذه النسخة بالذات ليست لك، وسوف أعدك بواحدة. وهذه هي طريقته للإثارة دائماً .. لا يعطيني ما أطلب من أول مرة .. فخطفتُ النسخة ، ورفضت إعادتها له.

وبعد منتصف الليل بدأت القراءة .. وشدني الكتاب موضوعاً وأسلوباً .. فلم أنم حتى الصباح ..!

كان هذا الكتاب - على حجمه المتواضع - كالإعصار ، كالزلزال .. أخذني من نفسي ليضعني على حافة آفاق جديدة .. حكاية الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) نفسه .. ثم قصة دعوته ، وما كابده من معاناة طويلة .. حينما كانت في صدره حنيناً ، وكلما قرأت صفحة وجدت قلبي مع السطور . فإذا أغلقت الكتاب لأمر من الأمور يتطلب التفكير أو البحث في كتب أخرى.. استشعرت الذنب؛ لأنني تركت الشيخ في (البصرة) ولم أصبر حتى يعود .. أو تركته في بغداد يستعد للسفر إلى

(كردستان).. ولا بد أن أصبر معه حتى يعود من غربته إلى بلده .

يقول الدكتور في كتابه (مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب) : وبعد هذا التطواف والتجوال هل وجد ضالته المنشودة ..؟ لا ، فإن العالم الإسلامي كله كان يعاني نوبات قاسية من الجهل والانحطاط والتأخر .. عاد الرجل إلى بلده يحمل بين جوانحه ألماً ممضاً ، لما أصاب المسلمين من انتكاس وتقهقر في كل مناحي حياتهم.

عاد إلى بلده وفي ذهنه فكرة تساوره بالليل والنهار.

لماذا لا يدعو الناس إلى الله ؟

لماذا لا يذكرهم بهدي رسول الله .. ؟

لماذا ... لماذا ؟

إذاً ، فهذه العقيدة التي يريدها (الدكتور) لم تأت من فراغ ... فمنذ القرن الثاني عشر الهجري ... والإمام محمد بن عبد الوها.

يفكر ويقدّم ؛ لكي يهدم صروح الأضرحة ، ويحطّم شبح الخرافات ، ويُطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء...بخزعبلاتهم التي اكتسبت مع الأيام قداسة ، تخلع قلوب المؤمنين ... إذا فكروا في إزالتها وفي ذلك يقول الكاتب : «ماذا كان وقْع هذه الأعمال على نفوس القوم » :

ويجيب المؤرخون على ما يرويه الأستاذ أحمد حسين في كتابه (مشاهداتي في جزيرة العرب) : « إن القوم لم يقبلوا مشاركة الرجل فيما قام به من قطع الأشجار ، وهدم القباب ، بل تركوا له وحده أن يقوم بهذا العمل ، حتى إذا ما كان هناك شر أصابه وحده ! .

هل يكون ما يزلزل كياني الآن هو الخوف الذي ورثته .. ؟ وهو نفس الذي جعل الناس في بلدة(العُيَيْنة) : موطن الشيخ ، يتركونه يزيل الأشجار ، وقبة قبر (زيد بن الخطاب) بنفسه .. خوفاً من أن تصيبهم اللعنات المختلفة من كرامات هذه الأماكن وأصحابها .

ومضيت أقرأ ومع كل صفحة أشعر أنني أخلع من جدار الوهم في أعماقي حجراً ضخماً .. وحينما بلغت منتصف الكتاب كانت فجوةً كبيرةً داخلي قد انفتحت ، وتسلل منها ومعها نور اليقين .. ولكن في زحمة الظلمة التي كانت تعشعش في داخلي .. كان الشعاع يُومض لحظة ويختفي لحظات !

لقد استطاع الدكتور أن ينتصر ... تركني أحارب نفسي بنفسي، بل جعلني أتابع مسيرة التوحيد مع شيخها محمد بن عبدالوهاب ، وأشفق عليه من المؤامرات التي تحاك ضده ، وحوله،

وكيف أنه حينما أقام الحد على المرأة التي زنت في (العيينة).. غضب حاكم (الإحساء) (سليمان بن محمد بن عبدالعزيز الحميدي) ، واستشعر الخطر من الدعوة الجديدة وصاحبها ... فكتب إلى حاكم العيينه (ابن معمر) يأمره بكتم أنفاسها ، وقتل المنادي بها ، والعودة فوراً إلى حظيرة الخرافات والخزعبلات .

ولما كان (ابن معمر) قد ارتبط مع الشيخ في مصاهرة ... فقد زوجه ابنته ... فإنه تردد في قتله ، ولكنه دعاه إلى اجتماع مغلق ، وقرأ عليه رسالة حاكم (الإحساء) ثم رسم اليأس كله على ملامحه ، وقال له : إنه لا يستطيع أن يعصي أمراً لحاكم (الإحساء) ، لأنه لا قِبَل له به .... ولعلها لحظة يأس كشفت للشيخ عن عدم إيمان (ابن معمر) ... ولم تزد الشيخ إلا إصرارًا على عقيدته ، وقوة توحيده .. فالحكام الطغاة لا يحاربون دائماً إلا داعية الحق .. وقبل الشيخ في غير عتاب أن يغادر (العيينة).. مهاجراً في سبيل الله بتوحيده، باحثاً عن أرض جديدة يزرعه فيها.

في الصباح استيقظتُ على ضجة في البيت غير عادية .. واعتدلت في فراشي ، ووصَلَتْ إلى أذني أصوات ليست آدمية خالصة ، ولا حيوانية خالصة .. ثغاء، وصياح ، وكلام ..غير مفهوم العبارات .. وقلت : لا بد أنني أعاني من بقية حلم ثقيل .. فتأكدت من يقظتي ، ولكن (الثغاء) هذه المرة اخترق طبلة أذني ..

ودخلت عليّ زوجتي تحمل إليّ أنباء سارةً جدًا ... وهي تتلخص في أن ابنة خالتي ـ التي تعيش في أقصى الصعيد ، ومعها زوجها ، وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات ـ قد وصلوا في قطار الصعيد فجراً، ومعهم « الخروف » .

وظننت أن زوجتي تداعبني .. أو أن ابنة خالتي - وكنت أعرف أن أولادها يموتون في السنوات الأولى - ، قد أطلقت على طفل لها اسم (خروف) لكي يعيش مثلاً . وهي عادات معروفة في الصعيد . وقبل أن أتبين المسألة .. أحسست بمظاهرة من أولادي تقترب من باب حجرة نومي .. وفجأة وبدون استئذان اقتحم الباب (خروف) له فروة ، وقرون ، وأربعة أقدام ... واندفع في جنون من مطاردة الأولاد له .. فحطّم ما اعترض طريقه .. ثم اتجه إلى المرآة ، وفي قفزة (عنترية) اعتدى على المرآة بنطحة قوية ، تداعت بعدها ، واحدثت أصواتاً عجيبة ، وهي تتحطم !

ثمَّ كل ذلك في لحظة سريعة .. وقبل أن استرد أنفاسي ، وخيل إليّ أن بيتنا انفتح على حديقة الحيوانات .. رغم أنني أسكن في العباسية ، والحديقة في الجيزة .. ولكن وجدت نفسي أقفز من على السرير ، وخشيت زوجتي ثورة (الخروف) ، وتضاءلت فانزوت في ركن .. ترمقني بعينيها ، وتشجعني لكي أتصدى لهذا الحيوان المجنون .. الذي اقتحم علينا خلوتنا .. ولكن

الصوت والزجاج المتناثر زاد من صياح الحيوان .. ولمحت في عينيه، وفي قرنيه الموت الزؤام .. واستعدت في ذهني كل حركات مصارعي الثيران ، وأمسكت بملاءة السرير ، وقبل أن أجرب رشاقتي في الصراع مع (الخروف) دخلت ابنة خالتي وهي في حالة انزعاج كامل .. فقد خيل لها أنني سوف أقتله ... وصاحت وهي على يقين من أنني سأصرع : حاسب ، هذا خروف « السيد البدوي » ونادته فتقدّم إليها في دلال ، وكأنه الطفل المدلّل .. فأمسكت به تُربتُ على رأسه، وروت لي أنها قدمتْ من الصعيد، ومعها هذا الخروف البكر الرشيقالذي انفقت في تربيته ثلاثة أعوام هي عمر ابنها؛ لأنها نذرت للسيد البدوي إذا عاش ابنها .. أن تذبح على أعتابه (خروفاً) ، وبعد غد يبدأ العام الثالث موعد النذر !

كانت تقول كل هذه العبارات وهي سعيدة .. وخرجت إلى الصالة لأجد زوجها ، وهو في ابتهاج عظيم .. يطلب مني أن أرافقهم إلى (طنطا) .. لكي أرى هذا المهرجان العظيم ؛ لأنهم نظراً لبعد المسافة اكتفوا بالخروف .. فأما الذي على مقربة من (السيد البدوي) فإنهم يبعثون بِجِمال .. وأصبح عليّ أن أجامل ابنة خالتي لكي يعيش ابنها ، وإلا اعتُبرت قاطعاً للرحم ... لا يهمني أن يعيش ابن خالتي أو يموت ، ولابد أن أذهب معهم إلى

مهرجان الشرك ، وفي نفس الوقت كنت أسأل نفسي .. كيف أقنعها بأنها في طريقها إلى الكفر .. ؟ وماذا سيحدث حينما أحطم لها الحلم الجميل الذي تعيش فيه منذ ثلاث سنوات ... ؟

وقلت : أبدأ بزوجها أولاً ؛ لأن الرجال قوّامون على النساء.. وأخذت الزوج إلى زاوية في البيت ، وتعمدت أن يرى في يدي كتاب : (الإمام محمد بن عبد الوهاب) .. ومدّ يده فجعل الغلاف في ناحيته ، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك بجمرة نار ..!

قرأ زوج ابنة خالتي عنوان الكتاب - الذي يقول : إن في الصفحات قصة (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ودعوته ـ وهتف صارخاً : ما هذا الذي أقرؤه ...؟ وكيف وصلني هذا الكتاب ..؟ لابد أن أحدهم دسه عليّ !!.. فهو يعرف أنني رجل متزن ... أحرص على ديني ، وعلى زيارة الأضرحة ، وتقديم الشموع ، والنذور ، وأحياناً القرابين المذبوحة والحية ، كما يفعل هو تماماً .. ورأيت في عينيه نظرة رثاء... إلى ما رماني به القدر في تلك النسخة ... وكان عليّ أن أقف منه موقف الدكتور جميل غازي مني سابقاً .. وشاء الله أن يكون ذلك بمثابة الامتحان لي .. وهل في استطاعتي أن أطبق ما قرأت أم لا .. ؟ وهل استوعبت عن يقين ما قرأت أم لا .. ؟ والأهم من ذلك هو مدى إصراري على

عقيدتي وإقناع الآخرين بها - أيضاً - ، فالذي لا يؤثر في المحيط الذي يعيش فيه .. هو صاحب عقيدة سلبية غير إيجابية .. فليس من المعقول في شيء .. أن أطوي (توحيدي) على نفسي ، وأترك الآخرين يعيشون في ضلالة ؛ لأنهم بعد فترة سوف يغرقونني في خرافاتهم .. وعليه فلا بد أن أجادلهم بالتي هي أحسن .. لا أتركهم يشعرون أن الأمر هينٌ .. لا بد أن أنفرهم من شركهم .. وهم لا بد أن يتراجعوا ؛ لأن (الخرافة) - نظراً لأنها تقوم على ضلالات هشة - لا يكاد الشك يدخلها حتى يهدمها .. والحق في تعقبها إذا كان لحوحاً .. قضى عليها ... أو على أقل تقدير أوقف نموها حتى لا تصيب الآخرين .. ومن أجل ذلك كله قررت أن أتوكل على الله ، وأبدأ الشرح للرجل ... ولم تكن المهمة سهلة .. فلا بد أولاً أن أطمئنه ، وأزيل ما بينه وبين سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ثم ما ترسّب في ذهنه من زمن عن (الوهابية والوهابيين).. ففي أول الحديث اتهم (عبدالوهاب) بعدد من الاتهامات يعلم الله أن دعوة (التوحيد) بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام !

ورحت أحاول في حماس شديد أشرح له سر حملات الكراهية، والبغضاء التي يشنها البعض على دعوة « التوحيد » وكيف أنها أحيت شعائر الشريعة ، وأصول العبادات ، وفي ذلك القضاء

على محترفي الدّجل ، وحراس المقابر ، وسدنة الأضرحة ، والذين يُكدّسون الأموال عاماً بعد عام .. من بيع البركات ، وتوزيع الحسنات على طلاب المقاعد في الجنة .. فالمقاعد محدودة والوقت قد أزف ..! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !.

ولمحت على ملامحه بعض سمات الخير .. نظر في دهشة .. كأنه يفيق من غيبوبة ... ورغم ذلك فقد راح يتشنج ، ويدافع عن أهل الله الذين ينامون في قبورهم لكن يتحكمون بأرواحهم في بقية الكون ، وأنهم يدعون كل ليلة جمعة للاجتماع عند قطب من الأقطاب ... وحتى النساء من الشهيرات يلتقين - أيضاً - مع الرجال الأقطاب ، وينظرون في شؤون الكون .

ولم أكن أطمع في زحزحته عن معتقدات في ضميره عمرها أكثر من ثلاثين سنة.. فاكتفيت بأن طلبت منه أن ينظر في الأمر .. هل هؤلاء الموتى من أصحاب الأضرحة أكرم عند الله أم رسول الله ؟!! ثم يفكر طويلاً ، ويجيء إليَّ بالنتيجة ... دون ما تحيّز أو تعصّب .. ووعدني بأن يُفكّر ، ولكنه فقط يطلب مني أن أرافقهم في رحلتهم الميمونة إلى (طنطا) ... فقلت له : إن هذا هو المستحيل لن يحدث .. وإذا كان مصمماً على الذهاب هو وزوجته إلى (السيد البدوي) حتى يعيش ابنهما .. فالمعنى الوحيد لذلك هو أن الأعمار بيد (السيد البدوي).. وحملق فيَّ وصاح :

لا تكفر يا رجل ..؟

فقلت لـه : أينا يكفر الآن .. ؟ أنا الذي أطلب منك أن تتوجه إلى الله .. ؟ أم أنـت الـذي تُـصرّ علـى أن تتوجـه إلى (الـسيد البدوي) ..؟

وسكت واعتبر هـذا مـني إهانـة لـضيافته ، وأخـذت زوجتـه والخروف وابنها، وانصرفوا من العباسية في القاهرة إلى (طنطا)، وحيثما وقفت أودعهم .. همست في أذن الزوج : أنه إذا تفضل بعدم المرور علينا بعد العودة من مهرجان الشرك .. فإنني أكـون شاكراً لـه ما يفعل ... و إلا لقي مني ما يضايقه .. وازداد ذهـول الرجل ، ومضى الركب الغريب .. يسوق الخروف نحو (طنطـا) وانثنت زوجتي تلومني ؛ لأنني كنـت قاسـياً معهـم ، وهـم الـذين يخافون على طفلهم الذي عاش لهم بعـد أن تقـدم بهمـا العمـر ، ومات لهما من الأطفال الكثير .. وصحت في زوجتي ، إن الطفل سيعيش فذلك لأنالله يريد له أن يعيش ، وإن كان سيموت فذلك لأن الله يُريد له ذلك.. ولا شريك لله في أوامره ولا شريك له في إرادته .

وذهبـت إلى إدارة الجريـدة الـتي أعمـل بهـا .. وإذا بالـدكتور يتصل بي تليفونياً ؛ ليتحدث معي في شأن لـه، ولم يخطر ببالـه أن يسألني : ماذا فعل بي الكتاب ؟ أو ماذا فعلت به ؟ واضطـررت

أن أقـول لـه : إنني في حاجة إلى مناقشة بعض ما جاء في الكتـاب معه ... والتقينا في الليـل وحدثته عن الكارثـة الـتي جـاءتني مـن الصعيد ، ولم يعلق على محاولتي إقناعهم بالعـدول عن شركهم .. مع أنني منذ أيام فقط .. كنت لا أقل شركًا عنهم ، وقلت له : ألا يلفت نظرك أنني أقول لهم ما كنت تقوله لي ؟.

قال في هدوء يغيظ : إنه كان على يقين من أنني سـوف أكـون شيئاً مفيداً للدعوة .. وأردت الاحتجاج على أنني من (الأشـياء) ولست من الآدميين ، لكن الدكتور لم يتوقف ، وقال : لقد صدر منك كل هذا بعد قراءة نصف الكتـاب ، فكيـف بـك إذا قـرأت الكتب الأخرى ؟! وأغرق في الضحك !!.

وعلمت بعد أيام أن قـريبتي عـادت مـن (طنطـا) إلى الـصعيد مباشرة دون المرور علينا في القاهرة ، وأنها غاضبة مني ، وشكتني لكل شيوخ الأسرة ، وفي الأسبوع الثاني فوجئـت بجـرس البـاب يدقّ .. وذهب ابني الصغير ؛ ليستطلع الأمر .. ثم عاد يقول لي: إبراهيم الحران «الحِران» .. إنه زوج ابنة خالتي .. ماذا حدث ..؟ هل جاءوا بخروف جـديد، ونذر جديد لضريح جديد ... أم ماذا .. ؟ وقررت أن يخرج غضبي من الصمت إلى العدوان هذه المرة ، ولـو بالضرب .. ومشيت في ثورة إلى الباب .. وإذا بهذا (الحران) يمـد يد ليصافحني ، ودَعَوْته إلى الدخول فرفض .. إذًا لماذا جاء؟ وفيم

جاء ؟ ، وابتسم ابتسامة مغتصبة وهو يقول : إنه يطلب كتاب (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي عندي ، وحملقت فيه طويلاً ، وجلست على أقرب مقعد! سقطت قلعة من قلاع الجاهلية .. لكن لماذا ؟ وكيف كان السقوط ؟ جاء صاحبي إبراهيم يسعى بقدميه .. يطلب ويلحّ في أن يبدأ مسيرة التوحيد .. لا بد أن وراء عودته أمراً ، ليس من المعقول أن يحدث ذلك بلا أسباب قوية جعلت أعماقه تتفتح ، وتفيق .. على حقائق غفل عنها طويلاً .

ورحمة بي من الذُّهول ، والإغماء الذي أوشك أن يصيبني .. بدأ يتكلم ، وكانت الجملة التي سقطت من فمه ثقيلة كالحجر الذي يهبط من قمة جبل .. صكت سمعي .. ثم ألقت بنفسها تتفجر على الأرض .. تصيب وتدمي شظاياها ، وقال : لقد مات ابني عقب عودتنا ... ! إنا لله وإنا إليه راجعون .. هذا هو الولد الرابع الذي يموت لإبراهيم تباعاً ، وكلما بلغ الطفل العام الثالث .. لحق بسابقه .. وبدلاً من أن يذهب إلى الأطباء ليعالج مع زوجته ، بعد التحليلات اللازمة .. فقد يكون مبعث ذلك مرض في دم الأب أو الأم .. اقتنع ، وقنع بأن ينذر مع زوجته مرة للشيخ هذا ، ومرة للضريح ذاك ، وأخرى لمغارة في جبل بني سويف .. إذا عاش طفله ، ولكن ذلك كله لم ينفعه .. ورغم

الجهل والظلم الذي يظلمه لنفسه .. إلا أنني حزنت من أجله .. تألمت حقيقة .. أخذته من يده .. أدخلته .. جلست أستمع إلى التفاصيل!..

لقد عاد من طنطا مع زوجته إلى بلدهما ، وحملا معهما بعض أجزاء من (الخروف) الذي كان قد ذبح على أعتاب ضريح (السيد البدوي) .. فقد كانت تعاليم الجهالة تقضي بأن يعودا ببعضه .. التماساً لتوزيع البركة على بقية المحبين - وأيضاً - لكي يأكلوا من هذه الأجزاء .. التي لم تتوافر لها إجراءات الحفظ الصالحة ففسدت .. وأصابت كل من أكل منها بنزلة معوية .. وقد تصدّى لها الكبار وصمدوا .. أما الطفل .. فمرض ، وانتظرت الأم - بجهلها - أن يتدخل (السيد البدوي) .. لكن حالة الطفل ساءت .. وفي آخر الأمر .. ذهبت به للطبيب الذي أذهله أن تترك الأم ابنها يتعذب طوال هذه الأيام ... فقد استغرق مرضه أربعة أيام .. وهزَّ الطبيب رأسه، ولكنه لم ييأس .. وكتب العلاج .. (أدوية) وحقن ، ولكن الطفل .. اشتد عليه المرض ، ولم يقو جسمه على المقاومة .. فمات !

من موت الطفل بدأت المشاكل، كانت الصدمة على الأم.. أكبر من أن تتحملها .. ففقدت وعيها .. أصابتها لوثة .. جعلتها تمسك بأي شيء تلقاه ، وتحمله على كتفها وتهدهده وتداعبه

على أنه ابنها ، أما الأب فقد انطوى يفكر في جدية ، بعد أن جعلته الصدمة يبصر أن الأمر كله لله .. لا شريك له .. وأن ذهابه عاماً بعد عام .. إلى الأضرحة والقبور .. لم يزده إلا خسارة .. واعترف لي : بأن الحوار الذي دار بيني وبينه .. كان يطنّ في أذنيه .. عقب الكارثة ، ثم صمت .. ! فقلت له: بعض الكلام الذي يُخفّف عنه ، والذي يجب أن يُقال في مثل هذه المناسبات .. ولكن بقي في نفسه شيء من حديثه . فهو لم يكمل.. ماذا حدث للسيدة المنكوبة ، وهل شفيت من لوثتها أم لا ؟ فقلت له : لعل الله قد شفي الأم من لوثتها.؟ !

فأجاب - وهو مطأطئ الرأس - : إن أهلها يصرون على الطواف بها على بعض الأضرحة والكنائس - أيضاً - ويرفضون عرضها على أي طبيب من أطباء الأمراض النفسية والعصبية .. ليس ذلك فحسب .. بل ذهبوا بها إلى (سيدة) لها صحبة مع الجن فكتبت لها على طبق أبيض .. وهكذا تزداد العلة عليها في كل يوم وتتفاقم .. وكل ما يفعله الدجالون يذهب مع النقود المدفوعة إلى الفناء !! وحينما أراد أن يحسم الأمر .. وأصرّ على أن تُعْرض على طبيب .. أو يطلقها لهم؛ لأنهم سبب إفسادها.. برزت أمها تتحداه، وركبت رأسها فاضطر إلى طلاقها وهو كاره.

أثارتني قصته ، رغم حرصي على النسخة التي حصلت عليها

من الدكتور جميل إلا أنني أتيته بها وناولتها لـه .. فأمسك بها وقلبها بين يديه .. وعلى غلافها الأخير كان مكتوباً كلام راح يقرؤه بصوت عال .. كأنه يسمع نفسه قبل أن يسمعني نواقض الإسلام من كلمات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] ، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر رفع رأسه فحملق في وجهي .. ثم أخذ الكتاب ، وانصرف واشترط أن يعيده لي بعد أيام ، وأن أحضر لـه من الكتب ما يعينه على المضي في طريق التوحيد.

انصرف إبراهيم ، والمأساة التي وقعت لـه تتسرب إلى كياني قطرة بعد قطرة .. فهي ليست مأساة فرد ، ولا جماعة ، وإنما هي مأساة بعض المسلمين في كثير من الأمصار .. الخرافة أحب إليهم من الحقيقة ، والضلالة أقرب إلى أفئدتهم من الهداية ، والابتداع يجتذبهم بعيداً عن السنة ! .

حاولت الاتصال تليفونياً بالدكتور جميل .. فقد كنت أريد أن أنهي إليه أخبار إبراهيم ولكني لم أجده فبدأت العمل في كتابات لمجلة شهرية تصدر في قطر .. اعتادت أن تنشر لي أبحاثاً عن الجريمة في الأدب العربي ، وصففت أمامي المراجع ، وبدأت

مستعيناً بالله على الكتابة ، وإذا بالتليفون يدق .. كان المتكلم مصدراً رسمياً في وزارة الداخلية ـ يدعوني بحكم مهنتي كصحفي متخصص في الجريمة ـ لحضور تحقيق في قضية مصرع أحد عمال البلاط ، وكان قد عثر على جثته في جُوال منذ يومين !! .

تركت كل ما كان يشغلني إلى مكان التحقيق .. والغريب في الأمر .. أن يكون الأساس الذي قامت عليه هذه الجريمة هو السقوط أيضاً .. في هاوية الشرك والدّجل والشعوذة .. بشكل يدعو إلى الإشفاق .. فالقتيل كان يدّعي صحبة الجن ، والقدرة على التوفيق بين الزوجين المتنافرين ، وشفاء بعض الأمراض وقضاء الحاجات المستعصية، إلى جانب عمله في مهنة البلاط .

أمّا المتهم القاتل .. فكان من أبناء الصعيد .. تجاوز الخمسين من عمره ، وكان متزوجاً من امرأة لم تنجب .. فطلقها وتزوج بأخرى في السابعة عشرة من عمرها لكنها هي الأخرى لم تنجب، وبلغه من تحرياته أن مطلقته قامت بعمل سحر له - نكاية فيه - يمنعه من الإنجاب مع زوجته الجديدة . فاتصل بذلك الرجل الذي كان شاباً لم يتجاوز الأربعين .. واتفق معه على أن يقوم له بعمل مضاد، وتلقف الدجّال فرصة مواتية ... وذهب معه إلى البيت .. وكتب له الدجال بعد أن تناول العشاء الدّسم .. بعض مستلزمات حضور الجن من بخور وشموع وعطور ، وذهب

الرجل ليشتريها .. وترك (الدجّال) وزوجته الحسناء في البيت.

خرج الرجل مسرعاً يشتري البخور الذي سيحرق تمهيدًا لاستحضار الجن .. وترك الدجّال الشاب مع الزوجة الحسناء .. وكان لا بد أن يحدث ما يقع في مثل هذه المواقف .. فقد حاول المشعوذ أن يعتدي على الزوجة . إذ راودها في عنف ليفتك بشرفها ، وهي العفيفة الشريفة .. فقامت لتغادر البيت إلى جارة لها .. حتى يصل زوجها .. وإذا بها تجد زوجها على الباب ، فقد نسي أن يأخذ حافظة نقوده وروت له في غضب ما وقع من الدجّال ، وانفعل الزوج الصعيدي ، وحمل عصاة غليظة ودخل على الدجال في الغرفة ، وانهال عليه بالعصا .. حتى حطم رأسه.. بعدها وجد نفسه أمام جثة لا بد أن يتخلص منها .. فجلس يفكر .. خرج ليلاً فاشترى جُوالاً ، وعاد فوضع الجثّة فيه ، وانتظر حتى انتصف الليل .. ثم حمل الجثة على كتفه ، وألقى بها في خلاء على مقربة من الحي الذي يسكنون فيه .. وعاد إلى غرفته يحاول طمس الآثار ومحوها .. وظن أنه تخلص من الدجال الشاب إلى الأبد ! .

ولكن رجال الشرطة .. بعد عثورهم على الجثة .. بدأوا أبحاثهم عن الجُوال الذي يحتوي على الجثة .. وما كادوا يعرضونه على البقالين في المنطقة ، حتى قال لهم أحدهم : إن

الذي اشتراه منه هو فلان ، وكان ذلك بالأمس فقط ، وألقت الشرطة القبض على الرجل ، وفتشت غرفته فوجدت الآثار الدالة على ارتكاب الجريمة .. وضُيِّقَ عليه الخناق فاعترف بتفاصيل الجريمة.

لم يكن حضوري هذا التحقيق صدفة، فكل شيء يجري في ملكوت الله بقدر .. إذ يسوق لي هذه الجريمة المتعلقة - أيضاً - بفساد العقيدة .. لتجعلني أناقش مع الآخرين.. قضية العقيدة والخرافة من بذورها الأولى .. ولماذا تروج الخرافة ، وتتغلغل في كيانات البشر دون وازع ؟ هل لأن الذين يتاجرون بها أوسع ذكاء من الضحايا ؟ .

وماذا يجعل الضحايا - وهم ملايين - يندفعون إلى ممارستها ، والإيمان بها، والتعصب لها... ؟ أم أن الوثنية التي هي الإيمان بالمحسوس والملموس .. التي ترسبت في أذهان العالمين سنين طويلة تفرض نفسها على الناس من جديد . تساندها الظروف النفسية لبعض البشر الذين يعجزون عن الوصول إلى تفسير لها!!؟

فالقاتل والقتيل في هذه الجريمة كلاهما فاسد العقيدة .. لا يعرفان من الإسلام سوى اسمه .. فالقتيل مشعوذ يمشي بين عباد الله بالسوء ، ويكذب عليهم ، ويدّعي أنه على صلة بالجن ،

وأنه يُشْفي ويُسْعد ، ويشفي ويمرض بمعاونة الجن ، وفي ذلك شرك مضاعف مع الإضرار بالناس .. أما القاتل فهو من فرط جهالته يعتقد أن إنساناً مثله في وسعه أن يجعله ينجب ولدًا أو بنتاً ! وقد يكون عذره أنه في لهفته على الإنجاب ألغى عقله ... غير أنه لو أن له عقيدةسليمة .. تُرسِّخُ في ذهنه أنَّ الله بلا شركاء ، وأن النفع والضر بيد الله فقط ، وتُؤصِّل هذه المفاهيم في أعماقه .. ما كان يمكنه أن يستسلم لدجال .. ولا استطاعت عقيدته أن تحميه من السقوط في أيدي مثل هذا المشعوذ !!

كان هذا كلام الرجل العالم ... طال صمتي .. فقط كنت أفكر في المسكين إبراهيم الحران ، وزوجته الأمية ... فلا عتاب عليهما ولا لوم .. ما دام هذا هو رأي مثل هذا الرجل في (الزار) .. وكانت الدقات العنيفة لا تزال تصل إلى آذاننا ، والصمت المسكين يتلاشى أمام الأصوات المسعورة التي تصرخ في جنون تستجدي رضا الجن ، وتستعطف قلوب العفاريت.. ! انتهت سهرتي مع صديقي العالم الأزهري الخالص .. الذي فجعني فيه إخلاصي فيه .. إذ وجدته من المؤمنين بالخرافة ، المؤيدين لحكايات الجن .. وأحسست بأن وقتي ضاع بين هذا المغلوط العقيدة ، ودقات (الزار) التي كانت تقتحم عليَّ نوافذ مكتبي .. دون مجير شهم ينقذني من الاثنين..

وفي الصباح استيقظت على جرس التليفون .. يصيح صيحات طويلة ومعناها أنّ مكالمة قادمة من خارج القاهرة.. ورفعت السماعة .. لأجد أن المكالمة من الصعيد ، والمتكلم هو زوج خالتي ، ووالد زوجة (إبراهيم الحران) .. يعلنني أنهم سوف يصلون غداً . وقد اتصل ليتأكد أنني في القاهرة .. خوفاً من أن أكون على سفر .. فهو يريدني لأمر هام .. ورحبت به ، وقلت : إنني في انتظارهم .. ولم يكن أمامي سوى أن أفعل هذا لألف سبب وسبب ! .

أولها : أن الرجل الذي اتصل بي أكنّ له كل الاحترام والحب، وأنني لمست في صوته رقة الرجاء ، وأنا ضعيف أمام اليائس الذي يلجأ إليّ في حاجة وفي وسعي أن أقضيها له .. أخشى أن أرده - ولو بالحسنى - وأحاول جاهداً أن أكون من الذين يجري الله الخير علىأيديهم للناس .. رغم أن هذا يسبب لي الكثير من المتاعب ، وضياع الوقت إلا أنني أحتسب كل ذلك عند الله !..

وفي الغد ومع الركب الحزين ، وكان مؤلفاً من زوج خالتي ، وخالتي أم زوجة (إبراهيم الحران) وابنتها التي أصابتها اللوثة بعد وفاة طفلها .. وكانت في حالة يرثى لها . تفاقمت الحالة العقلية عندها ، ودخلت في مرحلة الكآبة العميقة .. رفضت معها

الكلام ، وفقدت فيها الشعور بما يدور حولها .. لا تستطيع أن تفرق بين النوم واليقظة ، ولا تجيب عمَّن يحدثها ... انتقلت من دنيا الناس .. إلى دنيا الوهم والكآبة .. حتى زوت ، وصارت هيكلاً عظمياً ليس فيها من علامات الحياة سوى عينين كآلة زجاج يرسلان نظرات بلا معنى .. وقال لي الأب وهو حزين : إنه يريد مني أن أتصل بابني وهو طبيب أمراض عصبية ، ونفسية ، ويعمل في (دار الاستشفاء للأمراض النفسية والعصبية بالعباسية) لكي يجد لها مكاناً في الدرجة الأولى!

كانت الأم تبكي وهي نادمة تعترف بآثامها .. وكيف أنها بإصرارها على علاج ابنتها عند المشايخ ، وبالجري والطواف حول الأضرحة ، وضياع الوقت - جعلت المرض يستفحل ، ويهدم كل قدرة لابنتها على مقاومته .. واعترفت بأنها أخطأت في حق زوج ابنتها (إبراهيم الحران) واستفزته بإصرارها على الخطأ ، ولكن عذرها أنها كانت ضحيةً لجهلها ، ولعشرات السيدات اللاتي كنَّ يؤكدن لها : أن تجاربهن مع المشايخ ، والأضرحة والدجالين .. تجارب ناجحة ، والمثل يقول : (اسأل مجرباً ولا تسأل طبيباً) .

واستطعنا بفضل الله أن نجد لها مكاناً ، وأن نلحقها في نفس

اليوم بالدرجة الأولى ، وقال لي ابني : إنها حالة مطمئنة ولا تدعو إلى اليأس .. كل ما في الأمر أن الإهمال جعلها تتفاقم .. وبعد مضي أسبوع واحد من العلاج تحسنت السيدة ، وقد عُولجت بالصدمات الكهربائية .. إلى جانب وسائل علاجية أخرى يعرفها المتخصصون، وخلال ذلك اتصل بي (إبراهيم الحران) فقلت له : إنني أريده في أمر هام ، ولابد أنه يزورني في البيت ... وحينما جاء شرحت له الأمر ، وقلت له : إن الأطباء يرون في استرداده لزوجته جزءاً من العلاج - أيضاً - .. ولكن لفت نظري فيه .. أنه بعد قراءته للكتب التي حصلت له عليها من الدكتور جميل غازي في التوحيد أن أصبح إنساناً جديداً ... فالعبارات التي كانت تجري على لسانه .. من الإقسام تارة بالمصحف ، وتارة بالأنبياء ، وتارة ببعض المشايخ قد اختفت نهائياً.. وعاد يمارس حياته بأسلوبه الرجل الذي لا يعبد غير الله، ولا يخشى إلا الله ، ولا يرجو سوى الله .. وحتى بعد أن حدثته في أن يعيد زوجته .. أصر على أن يجعل هذه العودة مشروطة بأن تقلع أم زوجته عن معتقداتها القديمة ، وكذلك والد زوجته .. أما زوجته .. فقال : إنه كفيل بها ، وعقدت بينهم جميعاً مجلساً لم ينقصه إلا الزوجة ؛ لأنها كانت في المستشفى ، وقبلوا شروطه بعد هذا الدرس القاسي !!

كان لزيارته لزوجته في المستشفى أكبر الأثر في شفائها، وزادت بهجتها حينما عرفت أنه أعادها إلى عصمته ، قال لي ابني الذي كان يشرف على علاجها : إن عودتها إلى زوجها ، وزيارته لها كانت العلاج الحقيقي الذي عجَّل بشفائها ، لأنها وهي وحيدة أبويها .. حطمتها صدمة وفاة ابنها .. ثم قضت على البقية الباقية من عقلها صدمة طلاقها .. بعد شهر وعشرة أيام تقريباً تقرر خروجها ، وكان ينتظرها زوجها ووالدها ووالدتها في سيارة على الباب رحلت بهم إلى الصعيد فوراً .

لم أستطع أن أنزع من نفسي بقايا هذه المأساة ، ولم يكن من السهل أن أتغافل عن الخرافة التي تخرب أو تهدم كل يوم بل وكل لحظة عشرات النفوس والبيوت في عشيرتي ، و أبناء ديني .. وعلى امتداد الوطن الإسلامي كله .. ووجدتني أسأل نفسي لما ذا نحن الذين نعيش في الشرق الأوسط .. تمزقنا الخرافة وتجثم على صدر مجتمعنا الخزعبلات، فتمسك بنا وتوقفنا عن ممارسة الحضارة.. ؟

ومع أن الغرب ، والمجتمع الأوروبي ليس خالياً من الخرافات، وليس خالياً من الخزعبلات، ومع ذلك فهم يعيشون في حضارة ويمارسونها . تدفع بهم ويدفعون بها دائماً إلى الأمام !

الواقع أن خزعبلاتهم وخرافاتهم في مجموعها معادية للروح ..

تدفع بهم إلى الانزلاق أكثر من الماديات ، وهذا هو ما يتفق وحضارتهم ، أما هنا في الشرق ، فإن خرافاتنا معادية للعقل ، وللمادة معاً .. ! ولهذا كانت خرافاتنا هي المسئولة عن تدمير حياتنا في الحاضر والمستقبل.

وليس هناك من سبيل لخروجنا من هذا المأزق الاجتماعي ، والحضاري سوى تنقية العقيدة مما ألصق بها وعلق بها من الشوائب التي ليست من الدين في شيء ! .

فحينما يصبح التوحيد أسلوب حياة ، وثقافة ، وعقيدة ... سوف تختفي من أفقنا وإلى الأبدهذه الغيوم .. غيوم الخرافات ، والدجل، والشعوذة ، والكهانة التي لا تقوى .

وتلك مسئولية ينبغي أن تقوم بها أجهزة التربية المباشرة ، وغير المباشرة فإن ما نعيشه الآن هو صورة أسوأ مما قرأت في هذه الاعترافات ، ولو أنك اخترت مائة أسرة كعينة عشوائية وبحثت فيها لوجدت أن كل ما رويته لك في هذه الاعترافات لا يمثل إلا أقل القليل !

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران :٥٣] .

* * *

فهرس الموضوعات

* * *